شرح كتاب

# كشف الشبهات

للشيخ

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

فضيلة الشيخ المحدث

## خالد بن إبراهيم الفليج (حفظه الله)

«الشيخ لم يراجع التفريغ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فسيكون بإذن الله ﷻ أخذنا لهذا الكتاب أخذ مسائل، ونجعله على صورة مسائل؛ حتى تتضح مسائله، وحتى يسهل فهمه.

**أول مسائل هذا الكتاب**: سمى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب هذا الكتاب بـ«كشف الشُبهات»؛ لأن زمانه انبرى أهل الباطل، وتكالب علماء الضلال، وعلماء الكفر والضلال على محاربته ومعاداته فأثاروا شُبهًا كثيرة ضد دعوته وضد ما يدعو إليه من توحيد الله بالعبادة، وإفراده سبحانه وتعالى.

فألَّف هذا الكتاب ليدفع تلك الشُبه التي نثرها أولئك القبوريون، وأولئك الخرافيون، والتي تعلق بها بعض جهلة المسلمين وجعلوها أصولًا لهم وجعلوها قواعد يرجعون إليها ويعتمدون عليها، فهذا هو سبب تأليف الكتاب: أن هناك شبهًا أثيرت على شيخ الإسلام في دعوته من تكفير المسلمين، وتكفير عمومهم، ومن تشبيه الصالحين والأولياء بالأحجار والأشجار، ومن أن دعاء الصالحين هو من باب التوسل لا من باب العبادة، وسيأتي إيضاح هذه الشُبَه عند كل ما يأتي بإذن الله ﷻ مما سيذكره الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، هذا هو إذًا سبب تأليف الكتاب، هي المسألة الأولى.

**المسألة الثانية**: معنى كلمة كشف.

الكشف: هو في الأصل الإزالة والحسر، إذا كشف الشيء، إذا رفع ما غطَّاه وأزال ما حجبه، فالكشف إذًا هو الإزالة والحسر، والشبهات: جمع شُبهة، وهي ما تشابه من الحق والباطل، وما لا يُعرف وجهه ولا يتميز، وسُميت شبهة؛ لأنها تشتبه على الناظر ولا يستطيع الناظر إليها أن يعرف وجهها ولا يعرف حقيقتها، وهي شُبهٌ يتعلق بها من تعلق، فاحتاجت إلى كشفٍ وإزالة وإلى إظهار باطنها وعورها وتبيين الحق فيها، إذًا هذا هو مسمى هذا الكتاب «كشف الشبهات»، أي: إزالة الشُبه وحسرها وإبعادها عما يتعلق به المشركون والقبوريون في دعائهم الأموات والصالحين والأولياء، ومحاربتهم لدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

**المسألة الثالثة**: ابتدأ المُؤَلِف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بقوله: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ**.

وأهل العلم يبتدئون بالبسملة لأمور:

**الأمر الأول**: اقتداءً بكتاب الله ﷻ فإن الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ابتدأ كتابه بالبسملة.

**الأمر الثاني**: اقتداءً برسولنا ﷺ فقد جاء في الصحيحين عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ لما كتب إلى هرقل عظيم الروم كتابًا وإلى غيره، بدأه بـ **«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم»**[1].

**الأمر الثالث أيضًا**: أنه أورد في ذلك حديثٌ رواه الخطيب البغدادي، ورواه أيضًا ووضعه في الأربعين، ورواه البيهقي وغير واحد، أن النبي ﷺ قال: **«كل أمر ذي بالٍ لا يُبدأ ببسم الله فهو أجذم»**[2].

وهذا الحديث حديثٌ منكر من جهة إسناده، فمن جهة إسناده قد رواه الأوزاعي عن قرة عن الزُهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وقد تفرَّد برواية هذا الحديث عن الأوزاعي تفرد بهذا اللفظ عن الأوزاعي مبَشِّر بن إسماعيل، ومبشِّر بن إسماعيل وإن كان ثقة إلا أن أصحاب الأوزاعي؛ لم يذكروا هذه الزيادة، لم يذكروا لفظة البسملة، وإنما ذكروا لفظ الحمدلة.

**والعلة الثانية أيضًا**: أن قرة بن عبد الرحمن كان ضعيف الحديث وهو سيِّء الحفظ، وقد رواه أكابر أصحاب الزُهري كعُقيلٍ ويونس، ومعمر، وغيرهم عن الزُهري عن علي بن الحُسين مرسلًا دون ذكر النبي

---

(١) البخاري (٦/٣٦)، مسلم (٣/١٣٩٣).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٦٩) (١٢١٠)، ومن طريقه السبكي في طبقات الشافعية (١/١٢) من طريق مبشر بن إسماعيل، عن الأوزاعي به، ولم يذكر قرة فيه وهو بهذا قد خالف الثقات الذين أثبتوا قرة بن عبد الرحمن، فتكون رواية مبشر شاذة لمخالفته لهم، وهو معلول أيضًا ب: أحمد بن محمد عمران أبو الحسن بن الجندي.

قال الحافظ في لسان الميزان (١/٦٣٩) (٧٨٩)، قال الأزهري: ليس بشيء، حضرته وهو يقرأ عليه كتاب «ديوان الأنواع» الذي جمعه، فقال لي ابن الأبنوسي: ليس هذا سماعه، وإنما رأى على نسخة على ترجمتها اسم وافق اسمه فادعى ذلك.

قال الخطيب: كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه، وقال العتيقي: كان يُرمى بالتشيع.

وأورد ابن الجوزي في الموضوعات في فضل على حديثًا بسند رجاله ثقات إلا الجندي فقال: هذا موضوع، ولا يتعدى الجندي.

ﷺ ودون ذكر الصحابي، وإنما جاء من طريق عن الحُسين أنه قال: «**كل أمر ذي بالٍ لا يُبدأ بحمد الله فهو أجذم**»، فالحديث من جهة إسناده لا يصح، ومن جهة المتن أيضًا فهو منكر، والمعروف في هذا ما رواه يونس وعقيل ومعمر وغيرهم عن الزُهري عن علي بن الحسين، أنه قال، قال النبي ﷺ: «**كل أمر ذي بالٍ لا يُبدأ بحمد الله فهو أجذم**»[1]، وهو أيضًا حديثٌ مرسل، إذًا هذا هو الأمر الثالث الذي لأجله بدأ المُؤَلِف بالبسملة.

**الأمر الرابع أيضًا**: التجأ المُؤَلِف للبسملة اقتداءً بأئمة الإسلام، فما زال أهل العلم في مصنفاتهم وكتبهم يبدؤون الكُتب بالبسملة، فهي سُنة جرى عليها المؤلفون، وجرى عليها المصنفون.

**والأمر الخامس**: أنه من باب الاستعانة والتبرك باسم الله ﷻ فكأنه يقول: أبدأ هذا الكتاب وأصُنفه مستعينًا متبركًا باسم الله ﷻ فإن قول: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ متعلقٌ بمحذوف العام الجار والمجرور هنا، متعلقٌ بمحذوف تقديره حسب المقام، فالمقام هنا تصنيف وقراءة، وتصريف وتعريف، فهو يقول: أبدأ كتابي هذا تصنيفًا وتعريفًا مستعينا باسم الله الرحمن الرحيم، إذًا هذه خمسة أمور لأجلها ابتدأ المُؤَلِف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- كتابه بالبسملة.

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٨٤١)، وابن ماجه (١٨٩٤) من طريق قُرَّةَ، عن الزهري، عن أبي سلمة وحسنه ابن الصلاح، قال أبو داوود: رواه يونس، وعقيل، وشعيب، وسعيد بن عبد العزيز، عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلًا.

ورجح الدارقطني في «العلل» (٨/ ٣٠): هذه الرواية المرسلة على الرواية الموصولة، قلنا: ومراسيل الزهري لا يعتد بها عند جمهور أهل العلم.

وأخرجه كذلك الخليلي (٣/ ٩٦٦) من طريق خارجة بن مصعب، عن الأوزاعي، عن الزهري به، ولم يذكر فيه قرة بن عبد الرحمن، وخارجة متروك، كما في التقريب، وقال الذهبي: واهٍ، قال الحافظ في تهذيب التهذيب (٣/ ٧٨).

ترك ابن المبارك حديثه، وقال: رأيت منه سهولة في أشياء فلم آمن أن يكون أخذه للحديث على ذلك، وقال يعقوب: وهو ضعيف الحديث عند جميع أصحابنا، وقال على الثقات عن الثقات الذين رآهم، فمن هنا وقع في حديثه الموضوعات عن الأثبات، لا يجوز الاحتجاج بخبره، وذكره ابن الجارود والعقيلي وسعيد ابن السكن وأبو زرعة الدمشقي وأبو العرب الصقلي وغيرهم في «الضعفاء». اهـ.

## • المتن •

**اعلم رحمك اللّه تعالى أن التوحيد هو إفراد اللّه بالعبادة وهو دين الرسل، الذي أرسلهم اللّه به إلى عباده، فأولهم نوحٌ عليه السلام، أرسله اللّه إلى قومه لما غلوا في الصالحين، ودٍّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين.**

## • الشرح •

**المسألة الرابعة**: قوله **"اعلم رحمك الله تعالى أن التوحيد هو إفراد الله"**، قوله: اعلم رحمك الله هذه جرى عليها المُؤَلِف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في كتاباته، وفي مصنفاته -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يبدأ دائمًا بقوله: اعلم رحمك الله، اعلم أرشدك الله، اعلم وفقك الله ﷻ وهذا منه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-؛ ليُبين للسامع وللقارئ أنه يُريد به الخير، وأنه يُريد به الرحمة، والعلماء حقيقة رُحماء؛ لأنهم على هدي محمدٍ ﷺ، والله يقول في محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فكذلك العلماء أيضًا هم رُحماء على الأمة، لأنهم يرفعون عنهم الجهل، ويدلونهم على الحق والهُدى، فهم بهذه المنزلة عند الناس، وهذا الذي قصده المُؤَلِف أنه قال: **"اعلم رحمك الله"** لهذا المقصد، أنه يبين لهم أنه أراد به الرحمة وأراد به النصح.

**والأمر الثاني أيضًا**: أن قوله: **"اعلم رحمك الله"** أدعى في الاستماع والإنصات والانتباه، فمن دعا لك في مقدم كلامه ومقدم خطابه لفت كذلك الدعاء إلى استماع قوله، وإلى الإنصات له، لأنك تعلم أنه يُريد بك الخير، ويريد بك فلاحًا.

إذًا هذا معنى قوله: **"اعلم رحمك الله أن التوحيد"** وهي المسألة الخامسة، التوحيد: هنا أطلقه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وخصَّه، فقوله: **"أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة"** التوحيد هو لفظٌ عام، ومعناه من جهة اللغة ما هو مصدر وحَّد، يوحِّد، إذا جعل الشيء واحدًا، والتوحيد هنا عام من قوله: **"وإفراد الله بالعبادة"**.

ولكن الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وضح التوحيد وفسَّره بأهم ما يتعلق به، وبأهم ما جاءت به الرسل والأنبياء وما نزلت به الكُتب، وهو إفراد الله ﷻ بالعبادة، وإلا التوحيد أشمل من ذلك وأوسع من ذلك،

فالتوحيد يتعلق بتوحيد الربوبية، ويتعلق بتوحيد الألوهية، ويتعلق بتوحيد الأسماء والصفات، ولكن المُؤَلِف حصره هنا بتوحيد العبادة؛ لأن هذا الكتاب مقصوده تبيين توحيد العباد لله ﷻ.

ولأن التوحيد الذي هو توحيد الربوبية والألوهية، هذا قد أقرت به الفِطَر، وأقر به الناس، وآمنوا بأن الله هو الخالق، الرازق، النافع الضار، ولم يشركوا في هذا التوحيد إلا طوائف قلة، وشواذ من الخلق.

وأما أكثر شرك الخلق: فهو في توحيد الألوهية، وهو في عبادة غير الله ﷻ فهنا يقول: أن التوحيد، أي يكون المعنى الألف واللام هنا للعهد الذهني المذكور من قريب وهو: التوحيد الذي يتعلق بألوهية الله ﷻ؛ فيكون معنى قوله التوحيد: توحيد الألوهية لا غير، وهذا الذي فسره به -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- هو إفراد الله بالعبادة.

وتوحيد الألوهية يتعلق بأفعال العبد، بينما توحيد الربوبية يتعلق بأفعال الخالق سبحانه وتعالى، فهو توحيد علميٌّ خبري، وتوحيد قصدي طلبي، فالتوحيد الاعتقادي العلمي الذي يتعلق بالاعتقاد والعلم والخبر هو توحيد الربوبية، وهو أن تعتقد أن الله هو الخالق، وهو الرازق، النافع، الضار، المحيي، المميت، وهذا النوع من التوحيد كما ذكرت قبل قليل قد أقر به جميع الخلق، وأقر به جميع الطوائف، إلا طوائف قلة.

من أولئك **الطوائف التي أنكرت أو أشركت في توحيد الربوبية:**

**أولهم**: فرعون -لعنه الله- عندما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

**الطائفة الثانية**: الملاحدة الذين يقولون: لا إله والحياة مادة.

**الطائفة الثالثة**: المجوس، المانوية الثانوية، الذين ينسبون الخلق للخير والشر، ويجعلون الخير خالقًا للخير، ويجعلون النور خالقًا للخير، ويجعلون الظُلمة خالقةً للشر، فينسبون الخلق إلى النور، والظلمة، والنور هو الذي يخلق الخير، والظلمة هي التي تخلق الشر.

**الطائفة الرابعة**: القدرية مجوس هذه الأمة الذين قالوا: إن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه.

**والطائفة الخامسة**: بعض مشركي العرب الذين قالوا: مُطرنا بنوء كذا وكذا، وأشركوا في توحيد الربوبية حيث أنهم نسبوا الأمطار إلى النجوم والأنواء، هذه بعض الطوائف التي أنكرت توحيد الربوبية، أما عامة الخلق: فهم يُقرِّون أن الله هو الخالق ، الرازق، المدبر، المحيي، المميت.

وأما توحيد العبادة: وهو إفراد الله ﷻ بالعبادة هو دين الرسل، الذي أرسل الله به الرسل جميعًا، وأنزل الله به الكُتب، ولأجله خلق الله الجنة والنار، لأجله جُرِّدت سيوف الموحدين، ولأجله نادى منادي الجهاد، ولأجله أوذي النبي ﷺ وأخرج من مكة وهاجر إلى المدينة ﷺ لأجل تحقيق توحيد الألوهية.

أما توحيد الربوبية فكان كفار قريش يقرون به، وأن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، ولكن لما أمرهم وقال لهم: «**قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا**»[1] حاربوه وعادوه وآذوه وطردوه من مكة ﷺ، فهذا الذي قصده المُؤَلِّف بقوله: "**هو إفراد الله بالعبادة وهو دين الرسل، الذي أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوحٌ عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين، ودًا، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرًا، وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هذه الأصنام وكسر صور هؤلاء الصالحين**" الذين كانوا يعبدون من دون الله ﷻ قالوا: وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، "**أرسله الله إلى أناسٍ يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله**".

**المسألة السادسة في هذا المقطع أيضًا**: قوله توحيد الألوهية.

عرفنا أن توحيد الألوهية معناه: هو أن نفرد الله ﷻ بأفعالنا، وأن نعتقد أن المعبود وحده هو الله، وتوحيد الألوهية هو معنى قولك: لا إله إلا الله فإن لا إله إلا الله معناها: أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله، وهذه المسألة يجهلها كثير من المسلمين، بل يرددها عامة المسلمين، وهو لا يعقلون معناها، ولا يفهمون مقتضاها، فتجد من يقول: لا إله إلا الله صباح مساء ويرددها عندما يقوم وعندما ينام وهو بعد ذلك يُشرك بالله ﷻ ويدعو الأولياء والصالحين.

**ودليل ذلك**: الواقع المُشاهد في أمة المسلمين عندما تخرج إلى بلاد أهل الإسلام، وتمر على قبور الصالحين والأولياء وقبور الناس تجد أن هناك قبابًا قد عُظِّمت ورُفعت، وقبورًا قد شُيِّدت والناس حولها زُرافاتٍ ووحدانًا، يدعونها من دون الله ويعبدونها، بل بعضهم يخبرني أن قبرًا من قبور هؤلاء يحُجُّ كل عام أكثر من مليون ينتسب إلى الإسلام، وهو يردد لا إله إلا الله.

---

(١) مسند أحمد (٢٥/٤٠٤).

ويأتي إلى قبر ذلك الرجل الذي يزعم أنه صالحًا، وأنه من الأولياء، ويدعوه من دون الله، ويرجوه ويذبح له ويتقرب إليه بالقرابين، ويحلق شعره بعد طوافه بقبره سبعة أشواط، وينحر هديه عند قبره متقربًا له من دون الله ﷻ نسأل الله السلامة والعافية.

ثم يختم هذا بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأي شهادةٍ تنفع مع هذه الفعال، ومع هذه المعتقدات، وأنت تعتقد أن هؤلاء يملكون ما لا يملكه الله ﷻ في زعمك فتراهم ينفعونك ويضرونك، وتسألهم وترجوهم وتذبح لهم، وتتقرب إليهم، إذًا أنت لم تعرف حقيقة التوحيد، ولم تعرف حقيقة معنى لا إله إلا الله.

وعندما تدخل بعض مساجد أهل الإسلام وترى فيها قبورًا قد شُيِّدت وعُظِّمت والناس حولها بين طائفٍ ومتقربٍ وداعٍ وسائلٍ، نسأل الله العافية والسلامة، وهذا كله من الشرك الأكبر، وهذا الذي قد ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لا ينقطع منه زمان.

بل هو باقي إلى أن يُحقق الله ﷻ التوحيد في الأرض، وإلى أن لا يبقى في الأرض مشركًا ولا كافرًا، عندما ينزل عيسى عليه السلام، وإلا قبل نزوله فإن الكُفر والشرك باق في الأرض، وبعد موت عيسى يعود الكُفر والشِرك إلى الأرض حتى لا يبقى في الأرض مسلمًا ولا موحدًا.

إذا هذه الصورة التي نسمع بها هي الشِركُ الأكبر الذي يُخرج من دائرة الإسلام، فلأجل هذا لزامًا علينا جميعًا أن نعرف معنى لا إله إلا الله، وأن نحققها تحقيقًا يُنجينا عند ربنا سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، أما دعوى ترديدها، ودعوى قولها ودعوى أننا ننطق بها صباح مساء، ونشهد أن محمدًا رسول الله ثم تجد بعد ذلك من يأتي إلى السحرة، ويتقرب إليهم بذبائح يطلبونها منه، ولا يسمي الله ﷻ عليها.

أو يأتي إلى قبور الأولياء والصالحين ويدعوهم من دون الله ﷻ، بل أن بعضهم يرى أن هذا الولي أعظم في القدرة من الله ﷻ، وكان بعضهم إذا استُحلف بالله حلف، ولو كان كاذبًا، وإذا استُحلف بجاه الولي فلان لم يحلف إلا صادقًا؛ لأن هذا الولي في قلبه أعظم من الله في قلبه نسأل الله العافية والسلامة.

والقصص في هذا المقام كثيرة، في مسألة دعاء الصالحين، والأولياء، ممن ينتسب إلى الإسلام، وممن يدعوهم ويرجوهم كثيرة جدًّا، ومن خرج إلى بلاد المسلمين رأى ذلك واضحًا وبيِّنًا، ورأى دعاة القبور من الصوفية وغيرهم الذين يُعظمون العيدروس، والدسوقي، والبدوي، وغيرهم ممن يُزعم أنه ولي، أو عبد

القادر الجيلاني -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أو غيرهم من أئمة الإسلام وعلماء المسلمين، وعُبَّادهم وصالحيهم، ترى العجب العُجاب في هذا الباب، وترى من عبد غير الله ﷻ.

إذًا قوله -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: **"التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة"**؛ لأن هذا الأمر هو أعظم ما يجب علينا جميعًا، وهو حق الله علينا كما في حديث معاذ بن جبل الذي في الصحيحين عندما قال: **«يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟»**(١) قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا»**، فمن حقق التوحيد كان حقًّا له عند الله فضلًا أن يُدخله الجنة وأن يغفر له ويرحمه، أما إذا لقي الله وهو مشرك، فكما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، هذه هي المسألة السادسة.

**المسألة السابعة أيضًا**: أن دعوة الرسل كلهم من نوحٍ عليه السلام، إلى محمد ﷺ كلهم أتت لتوحيد لتحقيق توحيد الله وإفراد الله بالعبادة، ودعوة الرسل قائمة على تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة:

لتحقيق توحيد الربوبية، وتحقيق توحيد الألوهية، وتحقيق توحيد الأسماء والصفات وهذه الأنواع الثلاثة لا يخالف فيها نبي من الأنبياء، ولا رسول من الرسل، وإنما الذي وقع فيه الخلاف بين الأنبياء والمرسلين في الشرائع.

أما في التوحيد والإسلام، فهم كلهم يدعون إلى أصلٍ واحد وإلى عبادة الله وحده، فهم كما قال النبي ﷺ: **«إخوة لعلات دينهم واحدٌ وشرائعهم شتى»**(٢)، أي أنهم يختلفون في الشرائع، أما في تحقيق العبودية لله فهم متفقون في ذلك، ويدعون إلى ذلك، والمراد في هذا الكلام، أي أن الأنبياء كلهم كانوا يدعون قومهم إلى تحقيق العبودية وتحقيق إفراد الله ﷻ بالعبادة، وخالف في ذلك أقوامهم وأشركوا بالله ﷻ.

فاليهود لعنهم الله نسبوا الولد لله ﷻ وعبدوا الأحجار، والأشجار، والأوثان.

---

(١) البخاري (٩/١١٤)، مسلم (١/٥٩).

(٢) البخاري (٣٤٤٣).

والنصارى لعنهم الله ﷻ كفروا بالله ﷻ وجعلوا عيسى ابنًا وإلها وربًّا مع الله ﷻ، وكفروا بالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

**المسألة الثامنة**: ما هو السبب في الشِرك بالله ﷻ.

ذكر الشيخ هنا أعظم سبب من أسباب الشرك، وهو الغلو في الصالحين، فتلاحظ أن جميع من عُبد من دون الله ﷻ سواءٌ كان ملكًا، أو وليًا أو صالحًا أو رسولًا أو نبيًا؛ إنما عُبد بسبب أن العابد يراه أقرب إلى الله ﷻ منه.

وأنه أصلح وأحب إلى الله منه، وهذا هو الغلو، عندما يغلو الرجل في غيره، ويغلو في من هو بشرٌ من البشر، من خلق الله ﷻ، فإن غلوه فيه يحمله إلى إخراجه عن حدِّ العبودية، فودٌ وسواعَ ويغوث، ويعوق ونسرًا، الذين كانوا في زمن نوحٍ عليه السلام وفي الزمن الذي قبله، كانوا أُناسًا صالحين، وكانوا أهل صيامٍ وقيامٍ وعبادةٍ وطاعةٍ لله ﷻ.

فلما ماتوا أتى الشيطان إلى أقوامهم، وقال: لو صورتم لهم صورًا تذكرونهم بها وتنشطون عند ذكرهم ورؤيتهم، فصوروا تلك الصور لهم، ونصبوها في مجالسهم، حتى إذا رأوا صورهم نشطوا للعبادة، ونشطوا لطاعة الله ﷻ.

فلما مضى ذلك الجيل، أتى الشيطان إلى الذين بعدهم وقال: إنما كان آباؤكم يستسقون بهم، ويدعونهم ويستغيثون بهم، فعبدوهم من دون الله ﷻ، وأصبحوا آلهة لهم من دون الله ﷻ، فأرسل الله نوحًا عليه السلام، وأهلك الله ﷻ أهل الأرض كلهم بسبب هذا الذنب، وبسبب هذه المعصية وهو الشرك بالله ﷻ.

ثم استمر هذا الشرك كلما انقضى عصر وأرسل الله نبيًّا ورسولًا؛ أتى بعده من يُشرك بالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى حتى بعث الله محمدًا ﷺ إلى قومٍ كانوا يعبدون الأحجار، ويعبدون الأشجار، بل يقول أبو عمران الجوري: كنا إذا رأينا حجرًا أبيض غسلناه وعبدناه من دون الله، فإذا رأينا ما هو أقوى منه كسرنا الذي مضى وعبدنا الحجر الآخر.

وكان بعضهم يقول: إذا لم أجد الحجر أعبده جمعت كثيبًا من رمل، ثم حلبت عليه حلبة من لبن، ثم عبدته من دون الله، نسأل الله العافية والسلامة، فكانوا يعبدون الأحجار والأشجار، والأصنام والأوثان

وكل ذلك بدعوى أن هذه الآلهة تقربهم إلى الله ﷻ، وهم أقوى، وهذه الآلهة هي أقرب من جهة المكان، وأقرب إلى الله من جهة الحال، وهذا الشرك سببه أن العابد شبَّه الله بخلقه، أو شبَّه المخلوق بالله.

يقول المقريزي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: وإنما وقع الشرك في الأرض بسببين:

- إما بسبب تشبيه الخالق بالمخلوق.

- وإما بتشبيه المخلوق بالخالق.

**السبب الأول**: الذي يعبد الأولياء والصالحين شبَّه الخالق بالمخلوق، أما المخلوق لا يمكن أن تدخل عليه إلا عن طريق من؟ طريق الوزراء، وطريق الحُجَّاب، وطريق الوسائط، فأنت تحتاج إلى أن تتقرب إليهم حتى يقربوك إلى الملك أو إلى الوزير أو إلى العظيم، فهم شبَّهوا الله ﷻ بالمخلوق.

أما من تشبيه المخلوق بالخالق: أنهم شبَّهوا المخلوق من جهة أنه يملك النفع، ويملك الضر، وأنه يُدبر الخلق ويدبر هذا الكون، فأشركوا من جهة تشبيه المخلوق بالخالق، أو تشبيه الخالق بالمخلوق، والسبب الذي قبل ذلك ذكرناه هو الغلو في الصالحين.

**إذًا هذه هي المسألة الثامنة**، قوله -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: **"أرسله إلى أُناسٍ يعبدون الله، ويحجُّون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا؛ ولكنهم يجعلون بعض المخلوقين وسائط بيهم وبين الله"**.

**المسألة الثامنة**: أن الذين أُرسل إليهم رسلُ الله ﷻ أو أرسل إليهم محمد ﷺ كانوا متمسكين بشيء من الحق، وكانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، بل كانوا يحجُّون، كما جاء في الصحيح، أن قريشًا كانت إذا خرجت لم تتجاوز مزدلفة، ويقولوا: نحن أهل الحمس لا نخرج من الحرم، وكانوا يُلبُّون في تلبيتهم: **«لبيك اللّٰهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا تملكه وما ملك»**[1].

وفي الصحيحين: أن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه رأى النبي ﷺ في عرفة فقال: ما بال هذا ونحن عرفة، فكانوا لا يخرجون إلى عرفة فدلَّ هذا الحديث أنهم كانوا يحجُّون، بل كانوا يتصدقون كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان رجلًا يُعتق

---

(١) مسلم (١١٥٨).

الرقاب، ويتصدق ويُطعم الحاج، فهل له أجرٌ في ذلك؟ قال: «**يا عائشة، إنه لم يقل يومًا ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين، ولو كان ذلك لنفعه**»(١).

إذًا كانوا يتصدقون، ويحجُّون، ويصومون، كما في الصحيحين: أنهم كانوا يصومون عاشوراء، و المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أراد بهذا التبيين أن يرد على مشركي زمانه، فإن من الشُبه التي تعلق بها مشركي زمانه أنهم قالوا: كيف تُشبهنا بمشركين أصليين، وكفار أصليين يعبدون الأحجار والأشجار، ولا يعرفون شيئًا من الحق؟

فقال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: "**أن هؤلاء كانوا يقرُّون أولًا: بتوحيد الربوبية، وثانيًا: أنهم كانوا يحجُّون، ويتصدقون، ويصومون، ويتعبدون بعبادات كثيرة لله ﷻ ومع ذلك ما نفعهم ذلك الأمر، وما نفعتهم تلك العبادة؛ لأنهم أشركوا بالله ﷻ وصرفوا العبادة لغيره سُبْحَانَهُ وتَعَالَى**".

**إذًا هذه هي المسألة التاسعة**: أنه من أخذ ببعض الإسلام، وترك بعضه أنه لا يُسمى مسلمًا، وأن العبد ولو قام الليل كله، وصام النهار كله، وتصدق بأمواله كلها، ولكنه أشرك بالله طرفة عين؛ فإن عمله يجعله الله يوم القيامة هباءً منثورًا، ويكون خالدًا مخلدًا في نار جهنم، نسأل الله العافية، وهذا بسبب ذنب يقع فيه وهو لا يشعر، وهو لا يعلم، إذا أشرك بالله ﷻ بدعاء الأولياء، أو بدعاء الصالحين، أو بالذبح للجن والتقرب إليهم فإنه يكون مشركًا بالله ﷻ فالعبادة لا يستحقها إلا الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: "**ولكنهم يجعلون بعض المخلوقين وسائط**"، وهذه هي المسألة العاشرة أو التاسعة: مسألة الوسائط.

الوسائط في الإسلام تنقسم إلى قسمين:

- وسائطٌ مشروعة بلا خلاف بين أهل العلم ولا يصح إسلام العبد إلا بها، وهذه الوسائط هم رسل الله ﷻ الذين عرفنا الله ﷻ بواسطتهم، وعبدنا الله عن طريقهم، وعن طريقة شريعتهم، فهذه الواسطة واسطةٌ معتبرة.

---

(١) مسلم (٢١٤).

- وواسطةٌ صحيحة، لا يصح إسلامنا ولا يصح إيماننا إلا إذا عبدنا الله ﷻ إلا عن طريق محمد ﷺ كما قال ابن القيم[1]:

فلواحـــد كـــن واحـــدًا في واحـــدٍ أعنـــي طريـــق الحـــق والإيـــمان

فلا طريق لنا إلى الله إلا طريق محمد ﷺ ولا هديٌ لنا إلا هدي محمدٍ ﷺ وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى: أن من اعتقد أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعة محمدٍ ﷺ كما وسع الخضر عن الدخول عن شريعة موسى كفر بإجماع المسلمين.

إذًا هذه الواسطة واسطة معتبرة، ومن أنكرها كفر بإجماع المسلمين أيضًا، ومن قال: أعبد الله بغير طريق محمد وأدخل الجنة غير طريقه، فنقول: طريقك إلى النار خالدًا مخلدًا فيها أبد الآباد، ولو كنت محققًا لتوحيد الله من جهة إفراده بالعبادة، وإلا حقيقة التوحيد لا تكون إلا بتحقيق توحيد المتابعة وتحقيق توحيد العبادة، وأما إذا حقق العباد التوحيد، فإن توحيده لا ينفعه، إذًا هذه الواسطة القسم الأول.

**القسم الثاني**: الوسائط الشركية.

الوسائط الشركية يمكن أن نقسِّمها إلى أقسام:

**القسم الأول**: من يجعل بينه وبين الله وسائط ويعتقد فيهم أنها تستقل بالنفع والضر، أي يجعل هذا الولي عبد القادر الجيلاني -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يعتقد فيه مثلاً أنه واسطةٌ له بينه وبين الله ﷻ وأنه ينفع ويضر استقلالًا، فهذا القسم كافر بإجماع المسلمين ومشرك الشرك الأكبر، وشرك من أعظم الشرك؛ لأنه أشرك في توحيد الربوبية، وأشرك في توحيد الألوهية.

**القسم الثاني**: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويرجوهم، ويعتقد فيهم أنهم لا ينفعون ولا يضرون استقلالًا، ولكنهم لهم منزلة ولهم وجاهة عند الله ﷻ فإذا سألهم السائل استجاب الله له بسؤاله إياهم، فهذا القسم أيضًا مشرك بإجماع المسلمين، وكافر بإجماع المسلمين، وخارج من دائرة الإسلام.

---

(١) نونية ابن القيم (فصل: في النوع الثاني من توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المشركين والمعطلين).

**القسم الثالث**: هو من يدعو الأولياء والصالحين ليدعو الله له، يدعوهم ويجعلهم وسائط لكي يدعو الله له سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فهو يقول: يا فلان وهو ميت ادعُ الله لي، يا عبد القادر ادعُ الله لي، يا دسوقي ادعُ الله لي ويسأله من دون الله ﷻ، وهذه الحالة هذا القسم له حالتان:

- إن كان يدعوه من بعيد ويسأله من بعيد، يعني يكون في الرياض مثلاً وهو في الشام مثلاً ويقول: يا عبد القادر ادعُ الله لي، فهذا مشرك بالإجماع، وكفره كفرٌ أكبر بالإجماع بلا خلاف بين أهل العلم؛ لأنه اعتقد أن عبد القادر يعلم الغيب وأنه يسمعه وهذا تكذيب لكتاب الله ﷻ فإن الغيب لا لعلمه إلا الله.

- **الحالة الثانية**: أن يدعوه ويسأله عند قبره ليدعو الله له، وهذه المسألة أيضًا قد وقع فيها خلاف بين أهل العلم من المتأخرين، فمنهم من قال: أن هذا من الشرك الأصغر، ولكن الذي نقل الشيخ عبد الوهاب بن حسن -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، والشيخ سليمان بن عبد الله الإجماع في أن سائل الأموات وداعيهم وطالبهم ليدعو الله له أنه مشرك بالله الشرك الأكبر، ووجه كونه شركًا أكبر؛ لكونه يقول: يا عبد القادر، فهو يُخاطبه ويدعوه ليدعو الله له.

وقوله: يا عبد القادر ادع الله لي، يقول: هذا دعاء والدعاء لا يُصرف إلا لمن؛ إلا لله ﷻ فعندما صرف الدعاء لغير الله يكون بهذا الصرف قد أشرك بالله الشرك الأكبر، **هذا هو القسم الثالث**.

**القسم الرابع من الدعاء**: أن يدعو الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عند قبور الصالحين، يأتي إلى قبر رجل صالح، إلى قبر النبي ﷺ ثم يدعو الله عنده، ويقول: اللّٰهم اغفر لي ظانًّا أن هذه البُقعة مكان استجابة، وأن قبر الولي فلان مكان استجابة، وأن الله يستجيب الدعاء فيه؛ لأنه وليٌّ مبارك رجلٌ صالح.

نقول: هذا القسم من الشرك الأصغر وليس من الشرك الأكبر، وهو من التوسل البدعي المُحرَّم؛ لأنه قصد مكانًا بالدعاء والعبادة لم يقصده الشارع؛ ولأنه وسيلة وذريعة إلى الشرك الأكبر وعبادة غير الله ﷻ، فدعاء الله عند قبور الصالحين والصلاة عندها، والتقرب إلى الله عند قبور الصالحين، نقول: هو تقرُّب بدعيٌّ محرم، وهو من الشرك الأصغر ومن وسائل الشرك الأكبر، فلا يجوز أن يُفعل هذا.

ولو قرأناه في كُتب بعض أهل العلم أو كُتب بعض من ينتسب إلى الحق وإلى السُنة، نقول: إن هذا القول قول باطل وأنه قولٌ محرَّم، وأنه لم يفعله أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ ولا شك أن أفضل الخلق هو

محمد ﷺ، ومع ذلك لم يكن الصحابة يدعون الله عند قبره، ولا يسألون الله ﷻ به، وهذا كله من البدع المنكرة، ومن الشرك الأصغر.

**أيضًا من التوسل الباطل**: التوسل بجاه الصالحين، وذواتهم، كمن يقول: بحياة وجاه النبي، وأسأل الله بشرف النبي نقول: هذا التوسل وهذا الدعاء توسلٌ بدعيٌّ ومحرَّمٌ، ولا يُتوسل إلا بالمشروع، والتوسل المشروع هو يقوم بأمور:

- التوسل بأسماء الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.
- والتوسل بصفات الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى هذا القسم الثاني.
- والتوسل بالأعمال الصالحة.

التوسل المشروع لا يخرج عن ثلاثة أمور:

- توسلٌ بأسماء الله.
- وتوسلٌ بصفات الله.
- وتوسلٌ بالأعمال الصالحة التي تعملها أنت.

**أما الذوات**: ذات النبي ﷺ ذاتٌ مباركة، وذات محترمة، لكن لا يجوز أن تسأل بذاته، ولا أن تسأل الله بجاهه، ولكن الذي يجوز لنا أن نقول: اللّٰهم إنا نسألك بحُبِّنا لنبيك محمد ﷺ أن تغفر لنا، نقول: هذا توسلٌ مشروع وجائز؛ لأنه توسلٌ بعملٍ صالح عملناه نحن، أو أن تقول: اللّٰهم إني أتوسل إليك باتباعي لمحمد ﷺ واتباعي سُنته أن تغفر لي، نقول: إنه توسلٌ مشروع وجائز.

**أما التوسل بجاه الولي فلان**، أو أسألك بحق فلان، أو أسألك بحق آل البيت أو ما شابه ذلك، نقول هذا التوسل توسلٌ محرم، وبدعي، وهو لا يجوز، ولا يُعرف أن أحدًا من القرون الثلاثة توسل هذا التوسل البدعي، وإنما ظهر هذا بعد القرون المفضلة، وعندما ظهرت البدع والمنكرات، إذًا هذه المسألة العاشرة مسألة الوسائط.

**المسألة الحادية عشر**: أن دعوى المشركين والقبوريين في دعاء الأولياء والصالحين وسؤالهم لم يكن من باب اعتقاد أنهم ينفعون ويضرون، أو أنهم يملكون نفعًا وضرًا من دون الله ﷻ، وإنما كان دعاؤهم إياهم

لأجل أنهم شفعاء ووسائط عند الله، أنهم شفعاء ووجهاء، ولهم منزلة، فالملائكة مثلاً دعاهم من دعاهم من دون الله لأمرين:

**أولًا**: لطهارة أرواحهم.

**والأمر الثاني**: لقربهم من الله ﷻ فالذي دعاهم، دعاهم من هذا الجانب أنهم أطهر أرواحًا وأزكى من الذنوب والمعاصي والخطايا، فلهم منزلة عند الله ﷻ.

**والأمر الثالث**: أنهم أقرب الخلق من جهة علوهم إلى الله ﷻ فهم في السماء ويملؤون السبع، يملأها الملائكة، وهم ينزلون الأرض ثم يصعدون إلى السماء فمساكنهم السماء، وليست مساكنهم الأرض، فهو عبدهم ودعاهم من باب أنهم أقرب إلى الله ﷻ ، فبين الشيخ في هذه المقدمة أن هؤلاء الذين عبدوا الملائكة أو عبدوا عيسى، أو عبدوا اللات والعزى، أو عبدوا أي شيء عبدوه؛ فإنما عبدوه من باب أنهم شفعاء ووجهاء ووسائط لهم عند الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣]

فهذه دعوى مشركي أهل الجاهلية، ومشركي كفار قريش، وجميع من كان في ذلك الزمان، ممن يعبد غير الله ﷻ كانت عبادتهم لتلك الأحجار، ولتلك الأشجار من باب: أنهم شُفعاء، وأنهم وجهاء.

ومراد المُؤَلِّف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بهذا: الرد على مشركي زمانه، فإن مشركي زمانه أيضًا قال: نحن لا نعبده ولا نعتقد فيهم النفع، ولا الضر، ولا أنهم يملكون حياةً ولا إماتةً، وإنما نعبدهم بزعمهم أنهم وجهاء عند الله وأنهم شُفعاء لنا عند الله ﷻ، فنقض بهذه المقدمة أصلًا من أصول المبتدعة، وأصلًا من أصول المشركين القبوريين أن الدعوة واحدة، والله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى كفَّر كفار قريش، وكفَّر من اتخذ الأولياء شُفعاء من دونه سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وكذلك كل من فعل مثل فعلهم، ودعا الأولياء والصالحين، وقصدهم من دون الله ﷻ ولو بدعوى أنهم شفعاء عند الله أو وجهاء، فنقول: أنت مشرك بالله ﷻ الشِّرك الأكبر المخرج من دائرة الإسلام.

**المسألة الحادية عشر**: قوله: **"ويُخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله ﷻ"**.

التقرب هنا هذه المسألة الحادية عشر قوله: أن التقرب والاعتقاد، محض حق الله ﷻ المكلف، مكلفٌ أن يعتقد أن العبودية حقٌّ لله ﷻ، وأن غيره سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لا يستحق أن يُصرف له شيءٌ من العبادة.

وهذا هو معني قولك: لا إله إلا الله، فإن معنى قول لا إله إلا الله، أنت تعتقد أن كل إله سوى الله وكل معبودٍ سوى الله، فعبادته باطلة، ودعواه باطلة، فإذا لم تعتقد ذلك وظننت أنه هناك من يستحق العبادة مع الله ﷻ فأنت كافرٌ بالله ﷻ، خارجٌ من دائرة الإسلام ولو لم تتقرب لغير الله ﷻ، فالناس في هذا الباب على أقسام:

**القسم الأول**: من يعتقد أن هناك من يستحق العبادة غير الله ﷻ ولا يعبد إلا الله، هذا القسم الأول، يعبد الله لكنه يعتقد أن هناك من يستحق العبادة سوى الله، وهذا مشركٌ كافرٌ بالله ﷻ.

**القسم الثاني**: من يعتقد أن العبادة لله وحده، ولكنه يُشرك بالله ﷻ بأفعاله وأقواله، وهذا خارجٌ من دائرة الإسلام ومشرك شركًا أكبر.

**القسم الثالث**: من يعتقد أن المعبود وحده هو الله، ولا يدعو غير الله ﷻ، وهذا هو الموحد.

إذًا الاعتقاد أن تعتقد أن المعبود وحده هو الله، يلزم كل موحد؛ لأنه معنى قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾[البقرة: ٢٥٦]، فلا يصح إيمانك إلا إذا كفرت بالطاغوت، وكفرت بكل ما يُعبد من دون الله ﷻ وأثبت العبادة لله وحده سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وأما من جهة التقرب بالأفعال، فلا تتقرب إلا لله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، فإذا تقربت لغير الله ولو بذباب تقربه لغير الله، فإنك تكون مشركًا الشرك الأكبر كما جاء عند أحمد وغيره من حديث سلمان الفارسي.

دخل الجنة رجلٌ بذُباب، ودخل رجلٌ النار بذُباب، قرب ذبابًا لغير الله على وجه التقرب، وأشرك بالله الشرك عنده، قرب ذبابًا، لكن لما وقع في قلبه الرضا بأن يُقرِّب لغير الله ﷻ وصرف هذا التقرب لغير الله ﷻ ، كان مشركًا الشرك الأكبر، ولذلك كان كُفار قريش وأهل الجاهلية أعلم بلا إله إلا الله من كثيرٍ ممن ينتسب إلى العلم في هذا الزمان، فإن كفَّار قريش لما قال لهم النبي ﷺ: **«قولوا لا إله إلا الله»**[1] ماذا قالوا؟ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥].

---

(١) سبق تخريجه ص٦.

لمَّا قال لهم الرسول ﷺ: **«قولوا لا إله إلا الله»**[١] أنكروا واستنكروا، ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥]، أي جميع آلهتنا، وجميع ومعبوداتنا، اللات والعزى، وثلاثمائة وستون صنمًا حول الكعبة كلها باطلة، ولا نعبد إلا الله، مع أنهم كانوا في وقت الشدائد لا يدعون إلا الله ﷻ، وأما في وقت الرخاء فهم سيُشركون بالله ﷻ، جميع هذه الأصنام التي كانت حول الكعبة وأيضًا إساف، ونائلة، ومناة، وغيرها ممن كانوا يعبدونها من دون الله ﷻ.

إذًا لابد للموحد أن يعتقد أن المعبود وحده هو من؟ هو الله، وأن العبادة لا يستحقها إلا الله ﷻ، وهذا ليس خاصٌّ بالأفعال حتى في الاعتقادات فمن يعتقد كما هو ظاهر في هذه الأيام وفي هذه الأزمنة وإلى الله المشتكى، من يقول: إن اليهود والنصارى أهل إسلام، وأنهم أهل دينٍ صحيح، وأنهم يدخلون الجنة ولا يقال لهم: إنهم كُفار، وهذا القائل كافر بإجماع المسلمين؛ لأنه مكذِّبٌ لكتاب الله، ومكذِّبٌ لرسول الله ﷺ.

وقد سمعت من يدعو هذه الدعوة ويدعو لها ويدافع عنها ويقول: إن اليهود والنصارى ليس كلهم كفار، بل منهم من يدخل الجنة، ومنهم من يدخل النار، ومنهم كفار ومنهم مسلمين، نقول: كذبت يا عدو الله، يقول النبي ﷺ: **«ما من يهودي ولا نصراني يسمع بي ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار»**[٢].

والله يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، فالذي يقول: إن النصارى على دينٍ صحيح وأنهم على دعوة صحيحة، نقول: أنت مثلهم كافر بالله ﷻ، وكذلك الذي يقول: إن اليهود أهل دين صحيح، وأن دينهم صحيح، وأنهم يدخلون الجنة بهذا الدين، نقول: أنت معهم في نار جهنم خالدًا فيها أبد الآباد.

إذًا مراد المُؤَلِّف بقوله: أن تعتقد أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله ﷻ أن ما يكون في القلوب من الاعتقاد أن تعتقد أن المعبود وحده هو الله، وما تقوم به من أفعال لا تُصرف إلا لله ﷻ، وهذه المسألة الثانية عشرة.

---

(١) سبق تخريجه ص ٦.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣).

قوله: **"فهؤلاء المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يقرون أن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت"، هذه المسألة الثانية عشر مسألة**: هل الإقرار بتوحيد الربوبية يكفي للدخول في الإسلام؟ وهل يُغني عن صاحبه شيئًا؟ هذه المسألة الثانية عشر؟

هل الإقرار بتوحيد الربوبية يكفي عن توحيد الألوهية؟ وهل يُغني عن صاحبه؟ وهل يدخل به بالإسلام؟

نقول: إن الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق، لا يصح الإسلام إلا به، ولكنه لا يكفي في الدخول في الإسلام، حتى تبع هذا الإقرار بتحقيق توحيد الألوهية لله ﷻ وأن تفرد الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى بالعبادة، هذه المسألة التي أرادها المُؤَلِّف وهي قوله: **"إن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يُغني ولا يكفي في الدخول في الإسلام حتى يأتي بتوحيد الألوهية"**.

**الأمر الثالث**: المسألة الثانية أيضًا: أن كفار قريش كانوا يُقرون بأن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، ومع ذلك كفَّرهم الله ﷻ وكفَّرهم رسوله ﷺ واستحل دمائهم، واستحل أموالهم واستحل كل شيءٍ منهم ﷺ؛ لأنهم أشركوا بالله ﷻ وكفروا بالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وهذه الدعوى يدعيها مشركوا زمان الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حيث قالوا: إننا نعتقد أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، وأن الشرك الذي يخرج من باب الإسلام هو الشرك الذي ينبني على الاعتقاد، وهو أن تعتقد أن لهؤلاء الأولياء أو من تدعوهم وترجوهم، أنهم ينفعون ويضرون، وتعتقد فيهم النفع والضر، فإنك تكون مشركًا شركًا أكبر، أما إذا كان من باب الوسائل، فلا يكون شركًا أكبر، وأقف على هذه المسألة والله أعلم.

❁❁❁

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

**انتهينا من المسألة الثانية عشر**، وهي قوله -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: **"إن هؤلاء المشركين كانوا يقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق وأنه المحيي المميت، المدبر، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن، والأراضين السبع ومن فيهن كلهم عبيد وتحت تصرفه وقهره"**، هذه المسألة مسألة ذكرناها، وهي مسألة هل الإقرار بتوحيد الربوبية يُغني عن الإقرار بتوحيد الألوهية؟ وهل هو يكفي في الدخول في الإسلام؟

يقول: مسألة الإقرار بتوحيد الربوبية لا يصح إسلام العبد ولا يصح إيمانه إلا إن اعتقد أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، وهذا الاعتقاد اعتقادٌ فطري، فقد فطر الله ﷻ خلقه، على الإقرار بهذا التوحيد، وأن الله هو الخالق الرزق المدبر وقد ذكر الله ذلك في قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

فمشركوا العرب وكفار قريش، وجميع الطوائف، كانوا يُقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ولم يكن هذا محل الخلاف والنزاع بين الرسل وأممهم في مسألة توحيد الربوبية، لأنهم كانوا يقولون بأن الله هو الخالق الرازق، وإنما النزاع الذي وقع بين الأمم ورُسلهم، وأنبيائهم، هو في توحيد الألوهية، حيث أن مشركي العرب كانوا يعبدون أصنامًا وأحجارًا وأشجارًا، ويعبدونها من دون الله ﷻ.

وأول من أوجد هذا الشرك في العرب أو في أهل قريش هو: عمرو بن لُحي الخزاعي، عندما أتى ببعض الأصنام من سيف جدة أو من الشام، ثم أتى بها إلى الحرم ودعا الناس إلى عبادتها، فعُبدت من دون الله ﷻ وعبدوها من دون الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وإلا كانوا قبل ذلك على التوحيد، وعلى عبادة الله وحده، حتى أتى هذا الكافر الخبيث لعنه الله، وهو الذي يجر قصائب بطنه في نار جهنم فأتى بالشرك إلى هذه الجزيرة وعُبدت الأحجار والأشجار من دون الله ﷻ، هذه المسألة الثانية عشر.

**المسألة الثالثة عشر أيضًا**: فهي تتعلق بهذا المقطع هي قوله: **"أن مشركي العرب كانوا يُقرُّون بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، وهذا الإقرار لم يمنعهم من الكُفر، ولم يمنعهم من القتال، ولم يمنعهم من الخلود في نار جهنم؛ لأن إقرارهم هذا لا يأتي بثماره إلا إذا أتبعوه بتحقيق توحيد الألوهية لله ﷻ"**، فالمؤلف أراد بذكر هذا الأمر الرد على مشركي زمانه الذين قالوا: إن شرك الجاهلية، وإن شرك أهل قريش كان في توحيد الربوبية لا في توحيد الألوهية.

يقول بعضهم: يقول «مفاهيم يجب أن تُصحح» في كتاب له يقول: **"إن مُشركي العرب لم يكن شركهم من جهة الألوهية، وإنما كان شركٌ من جهة الربوبية، فكانوا يعتقدون في اللات، وفي العُزى، وفي مناة، وفي غيرها مما يُعبد من دون الله ويعتقدون فيها التدبير، وأنها تنفع وتضر وأنها تستقل بالنفع من دون الله ﷻ".**

فأراد الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أن يُبطل هذا القول، وأن يدفع هذه الدعوى بأن مشركي العرب، لم يكونوا يعتقدون في آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، أنها تنفع وتضر، وإنما كانت عبادتهم إياها على دعوى

أنها وسيط أو أنها شفيعة، أو أنها تشفع لهم عند الله، كما قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

ثم ذكر الأدلة على ذلك، وساق جمعًا من الأدلة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، هذه الآية تدل على أن كفر قريش كانوا يعتقدون في الله أن الذي يستقل بالنفع، والضُرِّ، والإحياء والإماتة، وتدبير الأمور، هو الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

أما اللات، والعزى، ومناة، والأصنام التي يعبدونها إنما هي بمنزلة الشُفعاء، وبمنزلة الوسطاء والوجهاء، تقربهم عند الله ﷻ وقال أيضًا: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

هذه آيات ساقها المُؤَلِّف ليُبين دعوى وبُطلان دعوى من يقول: أن كُفار قريش كان شركهم في توحيد الربوبية، لا في توحيد الألوهية، وهذه الدعوة من أبطل الدعاوى الباطلة، وأن قولهم: أن شركهم كان في الاعتقاد وأن شرك الدعاء والتقرب إلى الأولياء والصالحين بقصد أنها شفعاء أو بقصد أنها وجهاء، أنه لا يُسمى شركًا، هذه دعوى باطلة، وسيُبطلها المُؤَلِف، وكشف هذه الشُبهة في فصل مستقلٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لكنه ذكرها في هذه المقدمة لأهميتها، وأن دعوى أن الكفر والشرك لا يتعلق بالاعتقاد فقط، أنها دعوى باطلة، فإن اعتقاد مشركي العرب ومشركي قريش كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، وإنما كان شركهم وكفرهم بسبب دعائهم وطلب الشفاعة من غير الله ﷻ وطلب الشفاعة من غير الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

**المسألة الثالثة عشر**: فإذا تحقق أنهم مقرُّون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاه النبي ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يُسميه المشركون في زماننا الاعتقاد وكانوا يدعون الله ليل نهار، هذه المسألة الثالثة عشر، وهي أولًا: أن الأسماء لا تغير الحقائق، فإذا سموا الشرك

الأكبر بالتوسل، فإنه يبقى شركًا ويبقى مخرجًا من ذات الإسلام وإن سمَّوه توسلًا أو سمَّوه مثلاً تشفعًا أو سمَّوه مثلاً وجاهة، أو ما شابه ذلك، فإن العبرة بالحقائق وبالمعاني لا بالألفاظ والأسماء.

**هذه المسألة الثالثة عشرة**: وهي أن مشركي زمان الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- كانوا يقصرون الشرك على أي نوع، على الاعتقاد فقط، ويقولون: من اعتقد أن عبد القادر ينفع أو يضر استقلالًا فهو الذي يُشرك الشرك الأكبر، وهو الذي يخرج من ذات الإسلام، أما إذا اعتقدت أن عبد القادر مجرد شفيع، مجرد وسيط مجرد وسيلة تتقرب بها إليه يقربك إلى الله، فهذا ليس شركًا أكبر، ولا يخرج من ذات الإسلام، وهذه الدعوى دعوى باطلة.

ونقض شيخ الإسلام بأن كفار قريش كانوا يعتقدون أن النافع الضار هو الله، وإنما كان صرفهم للأولياء والصالحين بقصد أنهم شُفعاء وأنهم وسائط، وأنهم وجهاء ومع ذلك كفَّرهم الله ﷻ وأخرجهم من دائرة الإسلام، فهذا الذي قصده الشيخ بدعوى الاعتقاد تقول: هي دعوى باطلة، والعبرة بصرف العبادة لغير الله ﷻ والعبد يُشرك من جهتين:

- من جهة الاعتقاد.
- ومن جهة الأفعال والأقوال.

من جهة الاعتقاد: هو أن يعتقد مثلاً أن هذا الولي يملك التصرف والتدبير دون الله ﷻ، أو أنه يستحق أن يُدعى ويُرجى ويسأل من دون الله ﷻ نقول: كفر وأشرك بالله، ولو لم يفعل شيئًا من الشرك بغير الله ﷻ.

أما من جهة الأقوال والأفعال: وإن اعتقد خلاف ذلك، وإن اعتقد أن من يدعوه ويرجوه ويسأله لا يملك نفعًا ولا ضرًا، ولا يستقل بذلك، نقول: أنت مشرك وكافر بالله ﷻ من جهة أنك صرفت العبادة لغير الله ﷻ، وتوضيحُ ذلك: لو جاء شخص إلى قبر وليٍّ من الأولياء، فقال: يا عبد القادر، أو يا فلان، يا عيدروس، الدسوقي، يا عبد القادر، أيًّا كان ذلك المدعو، اشفِ مريضي، نقول: هذا الداعي بهذا الدعاء، أشرك بالله ﷻ؛ لأنه صرف عبادةً لا يستحقها إلا الله وهي عبادة الدعاء، صرفها لغير الله فأشرك بالله الشرك الأكبر.

ولو قال: أنا لا أعتقد في أنه ينفع ولا يضر، وإنما هو وجيه ووسيط، نقول: أنت أشركت وكفرت بالله ﷻ من جهة أنك دعوت غير الله، وصرفت عبادة له لا يستحقها إلا الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

لو جاء شخص قال: أنا أعتقد أن هذا الرجل يملك النفع والضر، ودعاه، نقول: أنت مشرك شركًا أكبر من جهتين:

- من جهة الربوبية.
- ومن جهة الألوهية.

الثاني من جهة الألوهية فقط، هنا عندنا اثنان، أحدهما أشرك شرك الربوبية والألوهية، والآخر أشرك شرك الألوهية فقط، وكلاهما خالد مخلد في نار جهنم، ويُسمى مشركًا كافرًا بالله ﷻ لأنه صرف العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

قال بعد ذلك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: **"ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم، وقربهم من الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، يشفع لهم أو يدعو رجلًا صالحًا مثل الولاة أو نبيًا مثل عيسى عليه السلام"**.

**المسألة الرابعة عشر**: ذكر المُؤَلِّف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أمثلةً لمن يُعبد من دون الله ﷻ فذكر الملائكة، وذكر الصالحين، وذكر الأولياء، وذكر الأنبياء، والمرسلين، وهؤلاء الناس أو هؤلاء الطوائف الثلاث هم أفضل الخلق، وأكرم الخلق عند الله ﷻ: الرسل، ثم الصالحين، ثم الملائكة، هؤلاء هم أفضل الخلق وأكرم الخلق عند الله ﷻ وتتعلق بهم قلوب المشركين، ومن دعاهم من دون الله ﷻ بسبب أي شيء أنهم أقرب إلى الله ﷻ وأنهم أطهر أرواحًا، من جهة طهارة أرواحهم، ومن جهة قربهم من الله ﷻ فتعلق بهم المشركون، وعبدوهم من دون الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، فيقول الشارح، المُؤَلِّف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: **"هؤلاء هم الذين عُبدوا من دون الله ﷻ"**.

ومع ذلك كفَّر الله ﷻ جميع هؤلاء، الذين عبدوا الملائكة والذين عبدوا عيسى، والذين عبدوا الصالحين، فمثال الصالحين: اللات، وهو رجلٌ كان يلتُّ السَّويق، ويُطعم الحاج ذلك السَّويق الذي كان يلتُّه، ومع ذلك كفَّر الله ﷻ من عبد ذلك الصالح.

والنصارى، عبدوا عيسى عليه السلام، واعتقدوا فيه أنه ابن الله، وأنه يُحيي ويُميت ويملك النفع والضر من دون الله ﷻ، فجعلوه إلهًا وربًّا مع الله ﷻ؛ فكفَّرهم الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، والذين عبدوا الملائكة وقالوا: إنهم بنات الله، وأنهم أطهر أرواحًا، وأقرب إلى الله ﷻ كفَّرهم الله ﷻ.

إذًا لا فرق بين معبودٍ ومعبود، لا فرق في التكفير بين معبود ومعبود، من عبد أفجر خلق الله ومن عبد أصلح خلق الله، يشتركون في أمرٍ واحد وهو أنهم مشركون بالله ﷻ وأن هذا الذي عبد الفاجر مشرك، والذي عبد الصالح مشرك، والذي يعبد حجرًا مشرك، والذي يعبد وليًّا مشرك.

فالعبرة: بصرف العبادة لا بنوع المعبود، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، تأمل قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، لم يخصَّ أحدًا بعينه، لم يقل: ملكًا ولم يقل: رسولًا، ولم يقل: وليًا، وإنما قال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وأحد من النكرات التي جاءت في سياق النفي، جاءت في سياق النهي، فأفادت، فكل ما يُسمى أو يُطلق على أنه أحد فإنه لا يُعبد من دون الله.

وأعم من هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وشيء من أنكر النكرات، فذلك الشيء هو الذي يصلح أن يُعلم أو يؤول إليه، فكل ما يُعلم يُسمى شيء، وكل ما يؤول إلى العلم يُسمى شيء، فالحجر شيء، والصنم شيء، والشجر شيء، والجبال شيء، والأرواح شيء، والإنسان شيء، وكل ما يدل على هذه الأرض، وكلُ شيءٍ في هذا الوجود يسمى شيء، فالله يقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فالعبرة: أن العبادة لا يستحقها إلا الله، فمن صرف العبادة لغير الله ﷻ كان مشركًا الشرك الأكبر، كافرًا بالله ﷻ سواءً كان ذلك هو وليًا من الأولياء، أو ملكًا أو رسولًا، أو نبيًا.

فعندما تدعوه وترجوه فقد أشركت بالله الشرك الأكبر، وأقول هذا؛ لأن هناك من يظن أن محمدًا ﷺ أنه يجوز دعاؤه، ويجوز التوسل به، ويجوز سؤاله من دون الله ﷻ، وقد وقفت على ورقة كُتبت على القبر كُتبت للنبي ﷺ من امرأةٍ كانت تقول: أنا مريضة فاشف مريضي وزوج ابنتي، وارزقنا مالًا، وتدعوه كما تدعو الله ﷻ بورقةٍ كتبتها إلى النبي ﷺ: "من فلانة إلى رسول الله ﷺ إن زوجي مريضًا فاشفه، وبنتي مطلقة فزوجها، وبيتنا ..."، يعني مسألة طلبات كثيرة تدعو محمدًا ﷺ.

وهذا هو الشرك الأكبر الذي وقع فيه مشركو العرب، ووقع فيه مشركو أهل الجاهلية، فكل من دعا غير الله أو صرف عبادةً لا تُصرف إلا لله ﷻ، فإن صارفها لغيره يكون مشركًا الشرك الأكبر وخارج من دائرة الإسلام.

فالمُؤلِّف بهذا أراد شيئًا مهمًّا: وهو أنه لا فرق بين معبود، ومعبود، وإنما العبرة: بصرف العبادة لغير الله ﷻ، فمن صرف العبادة لغير الله فهو مشركٌ شركًا أكبر، وخارج من دائرة الإسلام.

**الأمر الثاني**: أن الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى في مقام التكفير لم يُفرِّق بين من عبد رسولًا، وبين من عبد حجرًا، وبين من عبد شجرًا، وبين من عبد وثنًا، فكلهم مشركون كفَّار خارجون من دائرة التوحيد؛ لأنهم تلبسوا بالشرك الأكبر وأصبحوا بذلك مستحقين الكفر والشرك والخلود في نار جهنم.

قوله بعد ذلك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: **"وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى:** ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]".

**المسألة الخامسة عشر**: هي مسالة قتال المشرك، وقتال الكافر، الشرك يترتب عليه أمور:

**الأمر الأول**: من وقع في الشرك الأكبر، فإنه يجب علينا الحكم عليه بأنه مشرك، ووصفه بالشرك، وإذا كانت الحُجة قد بلغته وقامت عليه فإنه يُقتل بعد إقامة الحُجة عليه، يُسمى مشرك ويوصف وهو يجوز بعد ذلك قتاله واستباحة دمه، واستباحة ماله؛ لأنه أشرك بالله ﷻ، والنبي ﷺ يقول في حديث جابر بن عبد الله وأبي هريرة: **«أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»**، فالرسول ﷺ أمر بقتال المشركين، حتى يُحقق التوحيد، وكما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

فالمقاتلة قائمة ومستمرة إلى أن يكون التوحيد كله لله والدين كله لله، فما دام هناك مشركٌ وكافر، فإن دعوة التوحيد قائمة، وقتال المشركين والكفار قائم، وإلا من دفع الجزية وصولح على ذلك فإنه يبقى على كفره وعلى شركه، إذا دفع جزية وصالح المسلمين، أما مع عدم ذلك، فإنه يُقاتل حتى يُحقق التوحيد وحتى يكون الدين كله لله ﷻ.

فيترتب على الشرك استباحة الدم، وأيضًا تكفير المشرك وإخراجه من دائرة الإسلام، قال بعد ذلك: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

**المسألة السادسة عشر**: قوله ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨]، المساجد يراد بها الأعضاء ويراد بها المواضع، فالأعضاء لا توضع إلا لله، الأعضاء جبهتك ويديك تسجد بها، لا تسجد بيديك وجبهتك إلا لله ﷻ، ومن ثمَّ النوع الثاني: المواضع، فالمواضع أيضًا لا تُبنى إلا لله ﷻ فلا يُبنى مسجد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

## • الفصل الثالث •

**بيان أن توحيد العبادة هو معنى لا إله إلا الله، وهذا التوحيد هو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور.**

## • الشرح •

يريد بهذا -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أن الإله هو الذي تألهه القلوب، محبةً وتعظيمًا وإجلالًا وذلًّا وخضوعًا، فمن قصد شيئًا بهذا المعنى فقد اتخذه إلها، وعبده من دون الله ﷻ، وأشرك به مع الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، فإن هذا هو الذي يُطلق عليه الإله، ويؤخذ من هذا مسائل:

**المسألة الأولى**: معنى الإله.

اختلف أهل العلم في معنى الإله ومم اشتق على خلاف بينهما، هل لفظ الجلالة الله هو مشتقٌّ أو جامد؟ **والصحيح**: أنه مشتقٌّ، ومن قال باشتقاقه اختلفوا أيضًا ما المراد بهذا الاشتقاق، فمنهم من قال: أن الإله أصلها من (أَلِهَ) إذا حَيِرَ تحيَّر وأصابه الحيرة، فسُمي الإله إلهًا؛ لأن الأذهان تحتار فيه.

**وقال بعضهم**: إن الإله بمعنى من (أَلِهَ) إذا فزِع، وهو الذي يُفزع إليه، وتفزع إليه القلوب، وهذا معنىً آخر.

**وقال آخرون**: إن الإله من الوَلَه، وهو الذي تألهه القلوب محبة، (وَلِهَ بِهِ) إذا هام في حُبِّه، وقيل: معنى الإله من التَّأَلُّه وهو التعبد، وهذا هو المعنى الصحيح، كما قال رؤبة بن الحجَّاج:

لله درُّ الغانيـــــاتِ المـــــدَّهِ سـبَّحن واسـترجعْن مـن تـألُّهِي

***

فأصل التألُّه: هو التعبد، والإله أصلها من (أَلِهَ يَأْلَهُ إِلَهَةً فهو مَأْلُوهٌ)، والمألوه: هو المعبود، إذًا أصبح معنى الإله: هو الذي يُعبد محبةً وتعظيمًا، وإجلالًا وذُلًّا، وخضوعًا، فكلُ من عُبد فإنه إله، والآلهة التي تُعبد في الأرض إما أن تُعبد بحقٍّ أو تُعبد بباطل، وكل من سوى الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، فاتخاذه إلهًا اتخاذٌ باطل،

ولذلك عرف مشركو العرب، ومشركو قريش أن الإله: هو الذي يُقصَد بهذه الأفعال كالذَّبح والنذر، والدعاء، والطواف.

ولذلك لما قال لهم الرسول ﷺ: **« قولوا لا إله إلا الله»**(١) قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[ص: ٥]، فعرفوا أن معنى قوله (لا إله): أن يكفروا بكل آلهة سوى الله، وأن يُكفِّروا عابديها، وأن يتبرؤوا منها، فتعاظموا هذا القول، وقالوا: إن هذا القول فيه تسفيهٌ لأحلام آبائنا وأجدادنا، وفيه إبطالٌ لآلهتنا فأنكروا ذلك ولم يجر على ذهنهم أو يجري على معتقدهم، أن الإله هو الخالق، الرازق، المدبر، لأنهم يُقرُّون لهذا الأمر، ولو كان معنى الإله هو الخالق، الرازق، المدبر، لسمعوا وأطاعوا واستجابوا؛ لأنهم يقولون خالقنا هو الله، ورازقنا هو الله، والمحيي المميت هو الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، ولم يكن هناك خلافٌ بينهم وبين النبي ﷺ في هذه المسألة.

وهي أن الله هو الخالق الرازق، كما ذكر لله ذلك، وذكر أدلته شيخ الإسلام في هذا الكتاب، في قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف: ٨٧]، هم يُقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق، فعلموا أن قوله إله: هو الذي يُقصد بالدعاء، والسؤال، والذبح، وصرف العبادة له، فإن هذا الذي يُسمى إله.

**وعلى هذا نأخذ مسألةً ثانية**: أن كثيرًا من أهل الكلام الذين ضلوا وتخبطوا في مسألة الإله، إنما خبطت فروعهم، وتخبطت فروعهم؛ لأن أصولهم فاسدة في حقيقة التوحيد، ومعنى لا إله إلا الله، فعندما تنظر في ما يقوله أهل الكلام الأشاعرة والماتريدية وغيرهم، حتى الجهمية فإنهم يقولون: أن معنى لا إله إلا الله، فمعناها عندهم أي لا خالق ولا رازق إلا الله.

فيعبر السنوسي في «أم البراهين» بقوله: المستغني عمَّا سواه الفقير له ما عداه، وهذا المعنى يكون بمعنى الربوبية، لا بمعنى الألوهية، فالذي هو فقيرٌ، فالذي هو غنيٌّ كما سواه، وكل شيءٍ فقير إليه، هذا المعنى بمعنى توحيد الربوبية، لا بتوحيد الألوهية، وأما قول بعضهم: أنه القادر على الاختراع، أو القادر على الخلق والرَّزق، فهذا أيضًا هو معنى الربوبية، لا معنى الألوهية، فلما خلطوا في معنى الربوبية والألوهية، ولم يميزوا بينهما، جعلوا سؤال الأموات، ودعاء الأموات، والتقرب إليهم بأي قربةٍ من القُرب التي لا

---

(١) مسند أحمد (٢٥/٤٠٤).

يستحقها إلا الله، جعلوا ذلك من التوسل سواءٌ كان عندهم محرمًا، ولكنه لا يبلغ عندهم أن يكون شركًا أكبر إلا إذا كان معه الاعتقاد.

ويقصدون بالاعتقاد أن يُقصد في هذه الآلهة أنها تخلق أو ترزق، أو تنفع، أو تضر من دون الله ﷻ ، فإذا وقع في قلب ذلك العابد لتلك الآلهة أنه يظن فيها أنها تخلق أو ترزق، فإنه يكون قد أشرك الشرك الأكبر، وهذه الدعوى باطلة، بنص الكتاب والسُنة عن النبي ﷺ، فربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى أخبر عن المشركين أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣].

فلم تكن عبادة اللات العزى، ومناة، وغيرها من الأصنام إلا بقصد: أن يتخذوها شفعاء، ووسائط عند الله ﷻ، وإلا هم يعتقدون أن الخالق الرازق النافع الضار، هو الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، إذًا هذا هو معنى لا إله إلا الله، أي لا مألوه يُعبد ولا إله يُعبد إلا الله بحق، وكلُ إله سوى الله فعبادته باطلة.

وهذا هو المعنى الذي يُقصد بمثل هذه الأفعال، وهذا الذي قصده شيخ الإسلام بهذا التبيين، فقال – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذا الأمور، سواءٌ كان ملِكًا، أو مَلَكًا، أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرًا، أو قدرًا، أو جنيًّا، لم يريدوا أنها تخلق وترزق وتنفع وتضر، لأنهم يعتقدون أن المتصرف في هذه الأشياء هو الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

وأما هذه الآلهة التي يتقربون إليها إنما هي عندهم بمنزلة الوسائط التي تقربهم إلى الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، فإذا علمنا ذلك، وعلمنا أن هذا التوحيد الذي أقر به المشركون هو توحيد الربوبية، وأن التوحيد الذي نازعوا فيه هو توحيد الألوهية، وأن مشركي زماننا وفي كل زمانٍ إنما كان شركهم في توحيد الألوهية، وهم يتفاوتون أيضًا في هذا الشرك نسأل الله العافية والسلامة، فمن الناس من يظن فيمن يدعوه من دون الله من الأولياء والصالحين والأحجار والأشجار من يعتقد فيها ما يُعتقد في الله ﷻ من جهة النفع والضر، ومن جهة التصريف لهذا الكون، وهو مع هذا أيضًا يصرف لها نوعًا من العبادة، كالسجود والدعاء والذبح والنذر والاستغاثة، وما شابه هذه العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ.

إذًا هذا هو معنى الإله، **"ولا إله إلا الله معناها"**: أي (لا معبود بحقٍ إلا الله)، وهذه الكلمة هي كلمة التوحيد، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم عليه السلام في عقبه، وهي الكلمة التي يدخل العبد في الإسلام، إذا قالها ونطق بها وشهد شهادة الرسول محمدٍ ﷺ دخل في الإسلام، وهذه الكلمة هي التي تفتح بها

أبواب الجنان، وهي التي تنجي العبد من الكفر والشرك بالله ﷻ بشرط أن يُحقق شروطها ويأتي بمقتضاها ومعناها، أما إذا تلفظ بها ولم يدر ما حقيقتها، وما معنا، فإنها لا تنفعه ولا ينجو بها عند الله ﷻ بل تكون حجة عليه لا له؛ لأنه جاهلٌ بمعناها.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد.**

## • الشرح •

وقصده -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بهذه المسألة: أن مشركي -زمانه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ومشركوا زماننا غيَّروا الأسماء، وسمَّوها بغير أسمائها الحقيقية، فسمَّوا الذي يدعى من دون الله ﷻ ويُتقرب إليه بالقرابين، سموه سيِّدًا، ولم يسموه إلها؛ وذلك لكي يُبعدوا عن الأسماع هذه اللفظة المستشنعة.

فإن الناس إذا سمعوا أن هذا إله، تعاظموا ذلك وهربوا منه وفروا منه إلى الله ﷻ، لكن إذا أنه يُسمى بالسيد، والفقير، والولي، لم يتعاظموا أن يدعوه من دون الله ﷻ، ولم يتعاظموا أن يصرفوا له شيئًا من العبادة؛ لجهلهم بمعنى لا إله إلا الله، فهذا السيد الذي يُطلق عليه القبوريون اسم السيد أو اسم الفقير، أو اسم الولي، أو اسم الخادم، أو ما شابه ذلك هو في الحقيقة اتُخذ إلها مع الله ﷻ؛ حيث أنه يُصرف له العبادة التي لا تُصرف إلا لله ﷻ.

فعندما تمر بقبور بعض الأولياء في بعض البلدان، وترى الناس حولها زرافات ووحدانا، ذلك يطوف بها وآخر يسجد لها، وآخر يُصلي لها، وآخر يدعوه ويستغيث به من دون الله ﷻ، وإن سمَّوه بالسيد أو بالولي، أو بالصالح، بالخادم، فإنه شركٌ أكبر يُخرج من دائرة الإسلام، وصاحبه خالدٌ مخلدًا في نار جهنم، نسأل الله العافية والسلامة.

## • المتن •

قوله: **فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله.**

## • الشرح •

فهذا هو معنى لا إله إلا الله، معنى لا إله إلا الله نأخذها مسألة لها معنى، ومعناها: هو أن تُفرد الله ﷻ بالعبادة، وأن تعتقد كفر من عُبد من دون الله ﷻ، أو عبد غير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، ويقوم معنى هذه الكلمة على ثلاثة معاني أو على ثلاث أشياء:

- **الأمر الأول**: إفراد الله ﷻ بالعبادة، وهذا معنى قوله: إلا الله.

- **والأمر الثاني**: نفي العبادة عما سوى الله ﷻ، أن تنفي العبادة عما سوى الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وأن تتبرأ منه، وهذا معنى قوله: لا إله.

- **والمعنى الثالث**: الكُفر بكِ ما يُعبد من دون الله ﷻ، وتكفير عابد غير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

إذًا تحقيق العبودية لله، ونفي العبادة عما سوى الله، والبراءة ممن عبد غير الله ﷻ، وهذا معنى كلمة التوحيد، وهو دين إبراهيم عليه السلام، وهي ملته التي اتبعها عليه رسولنا ﷺ: وهي إخلاص العبادة لله وحده، والكفر بما يُعبد من دون الله، وتكفير عابد ذلك المعبود الذي يُعبد من دون الله ﷻ.

وهذه الكلمة لها شروط، فشروطها عند أهل العلم سبعة شروط، وقد استقرأها أهل العلم من كتاب الله ﷻ، ومن سُنة رسوله ﷺ، وهذه الشروط ذكرها شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسن -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- في شرح معنى كلمة التوحيد.

**وأول هذه الشروط**: العلم.

فلابد لمن نطق بلا إله إلا الله أن يكون عالمًا به علمًا يُفيد أن المعبود وحده هو الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، أما إذا جهل معناها وقال: لا أعلم هل الله هو المعبود وحده أو غيره؟ نقول: لا تنفعك هذه الكلمة لقوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[محمد: ١٩]، فلابد للمسلم أن يعلم أن المعبود وحده هو الله.

**الشرط الثاني**: اليقين.

وذلك أن يوقن يقينًا جازمًا لا شك فيه ولا ريب فيه أن المعبود وحده هو الله، وأن الإله المستحق للعبادة هو الله وحده، أما إذا وقع في قلبك شك أن هناك إله غير الله يُعبد، أو أن هناك من يستحق العبادة

سوى الله، أو أنك لا تدري أي الناس على حق: من يعبد الأولياء والصالحين، أو من يعبد الله ﷻ، فإن هذه الكلمة لا تنفعك عند الله ﷻ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[الحجرات: ١٥]، فإذا وقع الريب في قلب العبد، لم ينفعه توحيده ولم ينفعه نطقه بالشهادتين، وأقول هذا خاصةً في هذه الأزمنة التي أصبح بعض المسلمين يُشكك في توحيده وفي عقيدته.

ويقول: لا ندري من هو الذي على الحق؟ أنحن أم اليهود أم النصارى أم الرافضة أم غيرهم ممن يعبد غير الله ﷻ؟

نقول لهذا الجاهل: أعد إسلامك وأعد نطق الشهادتين، وتب إلى الله ﷻ فإن إسلامك لا يصح إلا إذا تيقنت يقينًا لا شك فيه أن الله هو المعبود وحده، وأن دين الإسلام هو الدين الصحيح، وأن كل دينٍ سوى الإسلام فهو دينٌ باطلٌ وأهله كفارٌ خالدون مخلدون في نار جهنم نسأل الله العافية، والسلامة.

**الشرط الثالث**: أن يقولها صادقًا.

الصدق في نطقها، فلا ينطق بها كاذبًا، أو ينطق بها ليحفظ دمه أو يحفظ ماله أو يحفظ عرضه، فإن نطقه بهذه الكلمة كاذبًا ينفعه في الدنيا، أما في الآخرة: فهو في الدرك الأسفل من النار؛ لأن هذا هو حال المنافقين فالمنافقون نطقوا بها ليعصموا دمائهم، وليعصموا أموالهم، وليعصموا أنفسهم من القتل، فهؤلاء لا تنفعهم كلمة التوحيد، وإن نفعتهم في الدنيا فلا تنفعهم في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت: ٢، ٣]، فالكاذب لا تنفعه كلمة التوحيد، ولا ينفعه النطق بها حتى يقولها صادقًا من قلبه، ويكون نطقه بلسانه مواطئًا لما في قلبه، أما إذا قالها بلسانه، وكفر بها بقلبه، فإنه يكون في الدرك الأسفل من النار.

**الشرط الرابع**: الإخلاص.

ومعنى الإخلاص أن تكون عبادته كلها لله ﷻ، وأن يُخلص العبادة لله وحده، ومتى ما وقع في صرف العبادة لغير الله ﷻ ولو مرة واحدة في عمره؛ فإنه يخرج من دائرة الإسلام إلا أن يتوب، لأن الله يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة: ٥]، والله يقول: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر: ٣]، فالدين كله لله ﷻ فلو صمت وصليت وحججت وزكيت ثم دعوت غير الله في مسألة واحدة، فإنك

تكون مشركًا بالله الشرك الأكبر، المُخرج من دائرة الإسلام، فلابد أن توحِّد الله ﷻ بأفعالك وأن تصرف العبادة لله وحده، من رجاءٍ، وخوفٍ، وذبحٍ، ونذرٍ، وما شابه ذلك، فكلُّ عبادةٍ لا يستحقها إلا الله لا تُصرف إلا لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

**الشرط الخامس**: القبول.

ومعنى القبول: أن يقبل هذه الكلمة، وأن يقبل كل ما جاء من عند الله ﷻ، وضد القبول الامتناع، فإذا امتنع عن شريعة من شرائع الله، أو امتنع عن التزام توحيد الله، أو التزام شريعة من شرائع الله، فإنها لا تنفعه، فإذا استكبر كما قال سُبحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[الصافات: ٣٥]، فإذا استكبر وامتنع من الانقياد فإن كلمة التوحيد لا تنفعه حتى يقبلها ويقبل ما جاء من عند الله ﷻ.

**الشرط السادس**: الانقياد.

وهو أن ينقاد لأوامر الله ﷻ وأوامر رسوله ﷺ، ومعنى الانقياد: هو أن يعتقد وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ، فإذا قال: لا يلزمني طاعة الله، ولا يلزمني طاعة رسوله ﷺ فإن كلمة التوحيد أيضًا لا تنفعه ولا تنجيه من عذاب الله ﷻ، فلابد من الانقياد، ومن لوازم الانقياد القبول، فكلُّ من انقاد قد قبِل، ولا يلزم من القبول الانقياد وهذا هو الفرق بين الانقياد والقبول، أن نقول: أن المنقاد قابل، ولا يلزم من القبول الانقياد، قد تقبل ولا تنقاد، أما إذا انقدت فإنك قد قبلت، وهذه ستة شروط.

**الشرط السابع**: المحبة لـ«لا إله إلا الله»، والمحبة: بمعنى محبة التوحيد، ومحبة أهل التوحيد، ومحبة أهل الإسلام، فإذا أبغضت التوحيد أو كرهته، أو كرهت أهل الإسلام لإسلامهم ودينهم، فإن كلمة التوحيد أيضًا لا تنفعك حتى تحبها، وتحب أهلها لتوحيدهم وإسلامهم، فإن أحببتهم وأحببت توحيدهم وأحببت الدين الذي هم عليه فإنك تكون من الموحدين، أما إذا أبغضت التوحيد وأحببت الشرك وأحببت النفاق وأحببت الكفر، فأنت قد نقدت توحيدك لكراهيتك لكلمة التوحيد وأهلها، وكفرت بحبك لأهل الشرك ومحبة شركهم وكفرهم نسأل الله العافية والسلامة.

إذًا هذه شروط لا إله إلا الله، وهي سبعة شروط، وأما أركانها قد ذكرناها بمعناها وهي:

- إثبات العبادة لله وحده.
- ونفي العبادة عمَّا سوى الله.

وهذا الركنان متعلقان بعضهما ببعض، إثبات العبادة لله ﷻ يستلزم نفي العبادة عما سوى الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، ونفي العبادة عما سوى الله يستلزم إثبات العبادة لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى وحده.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكُفارُ الجُهال يعلمون أن مواد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد اللّه بالتعلق، والكفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه فإنه لما قال لهم: «قولوا لا إله إلا اللّه» قالوا:** ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ **[ص: ٥]**.

## • الشرح •

مراده -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أن كثيرًا ممن ينتسب للإسلام، وينطق بالشهادتين ينطق بها وهو لا يعرف معناها، وقد وقفت على أُناسٍ كثيرين يقولون: لا إله إلا الله وهو لا يعرف معناها، ولا يدري ما تدل عليه خاصةً إذا أتى بما يُنافيها وبما يُناقضها.

فإن كثيرًا ممن ينتسب إلى الإسلام في هذه الأزمنة تراه يذهب إلى قبور الأولياء وإلى السحرة وإلى الكُهَّان، ويصرف العبادة لهم من دون الله ﷻ فبعضهم يأتي إلى قبر عبد القادر الجيلاني، ويدعوه من دون الله ﷻ دعاءً صريحًا، ويقول: يا عبد القادر أنا في حسبك، أنا في حماك، أنا في رجاك، ثم يسأله ويطلبه أن يشفي مريضه مثلًا، أو أن يرزقه مالًا، والقصص في هذا كثيرةً، نسأل الله العافية والسلامة.

وترى هذا السائل وهذا الداعي يردد صباح مساء معنى قوله: «لا إله إلا الله»، ويقولُها وهو يلفظها في صباحه وينقضها في مسائه، فلو عرف معنى لا إله إلا الله وأن معناها: أنه لا معبود إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وأن العبادة لا تُصرف إلا لله ﷻ كالدعاء والسجود، والسؤال، وما شابه ذلك، لا يُصرف إلا لله؛ لما أتى إلى قبور هؤلاء الأولياء والصالحين مثلًا أو إلى قبر محمد ﷺ فقد رأيت من يطوف على قبره سبعة أشواط يطوف على الحرم كله بنية التقرب إلى رسول الله ﷺ.

ورأيت من يُصلي له دون القبلة، ورأيت من يسجد لقبره دون القبلة، وهذا كله صرف عبادةٍ لغير الله ﷻ، بل رأيت من يسجد لحجر وجبل من دون الله ﷻ وهو يقول: «لا إله إلا الله»، بل وقفت على أناس يقولون لجبلٍ: أنا أنخاك علي، على جبل من الجبال العظام في منطقتهم وهم يدعونه ويستغيثون به صباح مساء؛ ليدفع عنهم المصائب والبلاء، وهم يقولون «لا إله إلا الله».

فلو عقلوا معنى «لا إله إلا الله»، وفهموا معناها، لما دعوا غير الله ﷻ، ولكنهم لمَّا نطقوا بها بلفظها، ولم يعقلوا معناها ولم يعرفوا حقيقتها حصل هذا الشرك العظيم، وحصل هذا الكفر بالله ﷻ بل كما ذكر الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أن كفار قريش بعربيتهم ولمعرفتهم بلسان العرب عرفوا أن معنى قوله: «لا إله إلا الله»، أن كل إله سوى الله أن عبادته باطلة.

أما في هذا الأزمنة فلجهلهم بلسان العرب، ولجهلهم بمعنى لغة العرب أصبحوا يتخبطون في ضلالهم ويتخبطون في شركهم، ولا يعرفون معنى لا إله إلا الله، نسأل الله العافية والسلامة، فلزامًا لزامًا أن نبين للناس: حقيقة التوحيد، وأن نبين لهم معنى لا إله إلا الله، وأن الدعاء والذبح والنذر وكل عملٍ صالحٍ لا يُتقرب إلا لله ﷻ.

بل حدثني بعض الإخوة في هذه البلاد أن أمًّا له وهي امرأة صالحة صوامةٌ قوامة، كانت تقول لابنها -وقد كان ينام عن صلاة الفجر- يقول لي هذا الرجل: أني كانت تفوتني صلاة الفجر بعض الأحيان فقالت أمي أو جدته رحمها الله ﷻ: يا بُني أراك تفوتك صلاة الفجر كثيرًا، قال: نعم يا أماه، قالت سأعلمك دعاءً إذا قلته لم تفتك الصلاة أبدًا، قال: وما هو؟ قالت: قل يا بني عند نومك: يا رسول الله أيقظني، يا رسول الله أيقظني، قال: يا أمي أنت تقوليها؟

قالت: نعم أقولها من سنواتٍ طويلة، وما فاتتني صلاة الفجر ولا مرة واحدة، بفضل هذا الدعاء، وما علمت هذه المرأة بجهلها بمعنى «لا إله إلا الله»، أنها من السنوات السابقة والماضية أنها واقعة في الشرك الأكبر، وأشركت بالله ﷻ، حتى أنقذها ولدها من هذا الشرك العظيم، ومن هذا الكفر الصريح؛ لأنها جهلت معنى «لا إله إلا الله».

وإلا قولها: يا رسول الله، هذا دعاء لا يُصرف إلا لله ﷻ، فهذه أتاها الشيطان لما أشركت بالله سُبحَانَهُ وتَعَالَى هو الذي كان يوقظها عند صلاة الفجر، بل يوقظها لقيام الليل، بل يأمرها بالصيام حتى تمضي على هذا الدعاء الذي أشركت به الشرك الأكبر، وخرجت به من دائرة الإسلام.

فأصبح كفار قريش وجُهَّال العرب أعلم بالتوحيد من أُناسٍ يزعمون أنهم من أهله، وأنهم ممن ينطق بالشهادتين، وهم يجهلون معناه ولا يعرفون حقيقتها، وهذا هو الذي نبه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب، لشيء من المعاني، والحاذق منهم من يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا اللّه، ولا يُدبر الأمر إلا اللّه، فلا خير في رجلٍ جهَّال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا اللّه.**

## • الشرح •

مراده -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- علماء وقته، فإن الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ابتُلي بعلماءٍ ضُلَّالٍ في زمانه، علماء يُحسِنون للناس دعاء الأولياء والصالحين، ويقولون: إن هذا ليس من الشرك الأكبر، وإنما من التوسل بالصالحين والتوسل بجاههم، ويحتجون بحُجج باطلة، وأدلة لا تسعدهم، ولا تسعفهم مما يستدلون به على تجويز الشرك بالله سُبحَانَهُ وتَعَالَى؛ لأنهم قالوا: إن معنى **«لا إله»**: أي لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

وكما ذكرت أن من عقائد الأشاعرة: أن معنى **«لا إله إلا الله»** أي: الغني عما سواه، الفقير إليه ما عداه، أو بمعنى القادر على الاختراع فهذا هو معنى **«لا إله إلا الله»**، ولا شك أن توحيد الربوبية يفارق توحيد الألوهية عند الاجتماع، فإن توحيد الربوبية: هو أن نوحد الله بأفعاله، وتوحيد الألوهية: أن نوحد الله بأفعالنا.

فتوحيد الربوبية: أن تعتقد أن الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، وأن كل ما يكون في هذا الكون من خلقٍ، هو خلق الله وتدبير الله ومُلكٌ لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وأما ما يتعلق بأفعالنا من سجودٍ ودعاءٍ وخضوعٍ وخشوعٍ وخشيةٍ واستغاثةٍ ونذر وما شابه ذلك، فلا يُصرف إلا لله ﷻ، وهذا هو الذي نبَّه عليه الشيخ: أن مشركي زمانه أعظم شركًا من مشركي زمان النبي ﷺ، من جهة جهلهم بمعنى «لا إله إلا الله»، ومن جهة أنهم يشركون في الرخاء والشدة، ومن جهة أنهم يُشركون بالفجرة والفسقة دون الصالحين.

## • الفصل الرابع •

**معرفة المؤمن أن نعمة الله عليه بالتوحيد توجب الفرح به والخوف من سلبه، إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلبٍ، وعرفت الشرك بالله ﷻ، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء: ٤٨]، وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وعرفت ما أصلح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:**

## • الشرح •

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: **"من عرف هذه المقدمات الأربع"**:

**أولًا**: أن يعرف الشرك.

ومعرفة الشرك من لوازم التوحيد، فإن العبد إذا جهل الشرك ولم يعرفه، فإنه قد يقع فيه ولا يشعر، وما أحسن ما قاله حذيفة بن اليمان -رضي الله تعالى عنه-: **"كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني"**[1].

وكما قيل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

***

فلابد للمسلم أن يعرف الشرك، بل من فوائد معرفة الشرك أن تعرف حقيقة التوحيد. فإن الضد يظهر حُسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء، فلن تعرف حقيقة التوحيد وفضل الله عليك بهدايتك لتوحيده، ولهدايتك إلى معرفته، إلا إذا عرفت الشرك وخطره، فالشركُ هو من التشريك: وهو أن تجعل مع الله ﷻ إلهًا آخر.

**فإن الشرك في اللغة**: يطلق على التشريك، وهو أن يجعل مع الواحد اثنين، يجعل مع الواحد آخر فإنك إذا أشركته في أمرٍ، أو أشركته في أمرك، فإنه يكون شريكًا معك، هذا أصل الشرك في اللغة، من التشريك، وهو جعل الواحد اثنين، أو جعل مع الواحد ثاني.

---

(١) صحيح البخاري (٦٦٧٣).

**وأما في الاصطلاح**: فالشرك هو مساواة المخلوق بالخالق فيما هو من خصائص الخالق، وهذا يدخل فيه توحيد الربوبية، ويدخل في توحيد الألوهية، ويدخل فيه توحيد الأسماء والصفات، مساواة المخلوق بالخالق فيما هو من خصائص الخالق، والشرك ينقسم إلى أقسام:

⇦ شركٌ أكبر.

⇦ وشركٌ أصغر.

ومن أهل العلم من يُقسمه إلى ثلاثة أقسام:

➢ شركٌ أكبر.

➢ وشركٌ أصغر.

➢ وشركٌ خفي.

والصحيح أنه ينقسم إلى قسمين:

- شركٌ أكبر.

- وشركٌ أصغر.

أما الخفي فإنه يدخل في القسمين جميعًا، فهناك شركٌ أكبر ظاهر، وهناك شركٌ أكبر خفي، وهناك شركٌ أصغر خفي وهناك شركٌ أصغر ظاهر فهو يدخل في القسمين على الصحيح، وليس قسيمًا لهما.

إذًا الشرك قسمان:

- شركٌ أصغر.

- وشرك أكبر.

أما الشرك الأكبر: فأقسامه كثيرةٌ جدًّا، ولكن الذي يعنينا منه ما يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فشرك الإرادة والقصد: هذا يتعلق بالقلب، **هذا القسم الأول**.

**القسم الثاني**: شركُ الدعوة، وهذا يتعلق باللسان، شرك الدعوة ودعاء غير الله ﷻ يتعلق باللسان.

**القسم الثالث أيضًا**: شرك الطاعة: وهو أن ينقاد لغير الله ﷻ ويُطيعه كما يُطيع الله ورسوله، ويمكن أن تذكر أقسامًا أخرى: كشرك المحبة، وشرك الرجاء، وشرك الخوف، وشرك الخشوع، والخشية، والرجاء، وما شابه ذلك، فكل عبادةٍ لا يستحقها إلا الله فإن صرفها لغير الله يدخل في حد الشرك.

**إذًا الشرك الأكبر**: هو صرف ما يستحقه الله ﷻ لغيره سُبحَانَهُ وتَعَالَى أو بضابطٍ سابق ذكرناه: مساواة المخلوق بالخالق فيما هو من خصائص الخالق سُبحَانَهُ وتَعَالَى، والشرك يدور على القلب وعلى اللسان، وعلى الجوارح.

**مثلًا شرك الجوارح**: السجود للصنم، أن يسجد لصنمٍ أو وثنٍ أو أي شيءٍ يسجد له على وجه العبودية والطاعة له، ومن شرك الأفعال أيضًا الذبح لغير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

**أما شرك الأقوال**: فكثيرة أيضًا فيدخل في ذلك دعاء الأموات، والاستغاثة بهم وسؤالهم، وما شابه ذلك، هذا كله يدخل في شرك الأقوال.

**أما شرك القلب**: أو ما يتعلق بالقلوب، فهو شرك النية والإرادة والمحبة، والخشوع والخشية، والتوبة، والإنابة، كلها تتعلق بالقلوب، هذا هو الشرك الذي ذكره الشيخ، فلابد أن نعرف الشرك وأن نعرف حقيقته، وأن نعرف معناه وأن نتصور صوره، ونعرف صوره حتى لا نقع فيها ونحن لا نشعر.

فمتى ما أردنا أن نعرف هذا العمل هل هو شركٌ أو لا، عرضنا هذا العمل: هل هذا العمل يستحقه الله وحده؟ أو يجوز أن يُشرك معه غيره سُبحَانَهُ وتَعَالَى؟ فمثلًا الاستغاثة: هل الاستغاثة خاصةٌ بالله ﷻ أو يجوز الاستغاثة، أو يجوز أن تستغيث بغير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى؟ يجوز لله فقط أم يجوز أن تستغيث بغير الله؟

نقول: الاستغاثة تجوز بالمخلوق بشروط:

أن يكون حيًا، حاضرًا، قادرًا، وأن يكون المستغاث به ليس من ما لا يقدر عليه إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، فإذا توفرت الشروط، جاز أن نستغيث بالمخلوق، عندما يأتي غريق إلى رجل وهو قد غرق، فيقول: أغثني، أغثنِي، نقول: لا حرج في ذلك بشرط أن يكون حيًّا حاضرًا قادرًا، وكذلك إنقاذه أمرٌ مقدورٌ عليه من هذا الشخص.

أما إذا استغاث المخلوق: في ما لا يقدر عليه إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، مثل: يا فلان اشفِ مريضي، هل يقدر على ذلك ذلك المستغاث به؟ أم هذه من خصائص الله؟

نقول هذا من خصائص الله، فاستغاثتك بهذا المخلوق في هذا الأمر تكون قد وقعت بسبب الشرك الأكبر، كذلك أي عملٍ لا يستحق إلا الله يكون صرفه لغير الله ﷻ شرك، الذبح عبادة لا يُتقرب بها إلا لله ﷻ، فلو أتى إنسان وذبح الذبيحة متقربًا بها للميت، أو ولي، نقول: ذبيحتك هذه ذبيحةٌ شركية، وتخرج بها

من دائرة الإسلام بذبحك لهذا الميت أو لهذا الغائب أو لهذا الولي الذي زعمت، وهناك فرقٌ بين من يذبح له على وجه التقرب والعبادة، وبين من يذبح له على وجه التكريم.

فالذبح على وجه التكريم لا حرج فيه، وهو من باب الإكرام، لكن يُشترط أن يُسمي الله ﷻ على هذه الذبيحة وأن يذكر اسم الله ﷻ عليها، هذا من جهة الذبح، أما على وجه التعبد فلا تصرف إلا لله ﷻ.

إذًا ضابط الشرك: هو أن نصرف شيئًا مما يستحقه الله لغير الله ﷻ، سواء مما يتعلق بالقلوب، أو الجوارح، أو الأقوال، أو بالأفعال.

## المتن

قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ **[النساء: ٤٨]**.

## الشرح

هذه المسألة تتعلق بخطر الشرك، ولابد أن نعرف خطر الشرك حتى نجتنبه، أولا: الشرك له مخاطر عظيمة على الإنسان في دنياه، وفي آخرته، أما أخطاره على العبد في الدنيا:

**فأولًا**: الشرك يُخرج العبد من دائرة الإسلام، والمشرك بشركه يكون كافرًا خارجًا من دائرة الإسلام.

**الأمر الثاني**: أن ولايته تبطل على المسلم، فإذا أشرك بالله الشرك الأكبر بطلت ولايته على موليته من النساء، فلا ولاية له ولا يُنكح منه.

**الأمر الثالث**: أن ذبيحته لا تحل، وأن عقد نكاحه يبطل، فإذا كانت المرأة متزوجة برجل وأشرك، فإن عقده يبطل حتى يتوب إلى الله، ويرجع إلى التوحيد، وإلى الإسلام.

**أيضًا مما يترتب على الدنيا**: أنه بالشرك يُستباحُ دمه، ويستباح ماله، بعد إقامة الحُجة عليه، فإنه يكون مشركًا كافرًا، يستوجب العقوبة بالذبح وإراقة دمه، وسبي ماله وأخذه ويكون معاشرًا في بيت مال المسلمين، هذا ما يترتب عليه في الدنيا.

**وأما في الآخرة**: فإنه إذا مات لا يُورث، وإن كان له ميتٌ من أوليائه، فإنه لا يرث، وأما في قبره فإنه لا يُدفن مع المسلمين، ولا يُصلى عليه، وإنما يُدفن كما تُدفن سائر الكلاب وسائر الجثث، يُوارى في الأرض ولا يكون ظاهرًا.

**هذا ما يتعلق بأثر الشرك على العبد في الدنيا**، أما في قبره: فقد ذكرنا أنه لا يُدفن مع المسلمين، ولا يُصلى عليه، وإنما تُوارى جثته احترامًا لأهل الإسلام وليس له، حتى لا يتأذى به المسمون برائحته.

**وأما في الآخرة**: فإن المشرك يستوجب الخلود في النار كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[المائدة: ٧٢]، ويستوجب أيضًا حبوط جميع عمله، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر: ٦٥]، فالشرك يُحبط جميع الأعمال ويجعلها يوم القيامة هباءً منثورًا.

**والأمر الثالث أيضًا**: أن المشرك لا يغفر الله له شركه أبدًا، أن المشرك لا يُغفر له، وكلُ ذنبٍ سوى الشرك فإنه تحت مشيئة الله ﷻ، إذا لم يبلغ بصاحبه الخروج من دائرة الإسلام، فأما الشرك والكفر، فإن الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى لا يغفره للعبد ويكون بفعله لذلك خالدًا مخلدًا في نار جهنم.

أما النوع الثاني من أنواع الشرك فهو: الشرك الأصغر.

وضابطه: هو كل ما جاء وصفه بأنه شرك، ولم يبلغ بصاحبه الخروج من دائرة الإسلام، أو ما كان وسيلةً وسببًا إلى الشرك الأكبر، أو ما سمَّاه الشارع شركًا أصغر، فمثل ذلك:

- الرياء والسُمعة، فقد سمَّاه النبي ﷺ سمَّاه شركًا أصغر.
- وأيضًا السمعة تسمى شركًا أصغر.
- كذلك التنديد الجزئي لا الكلي في الألفاظ والأقوال، مثل من يقول: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله ولولا فلان، والحلف بغير الله ﷻ، فإن هذا كله من الشرك الأصغر.

والشرك الأصغر اختلف أهل العلم هل يُغفر أو لا يُغفر؟

**والذي عليه أكثر المحققين**: أن الشرك الأصغر لا يُغفر؛ لأنه يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨]، فإن هذا يدخل تحته مسمى الشرك الأصغر كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فإنه أدخل الشرك الأصغر تحت هذه الآية، وقال: إنه لا يُغفر.

ومعنى قوله أنه لا يُغفر: أنه يؤاخذ به العبد يوم القيامة ولا يحطه الله عنه، وإنما يكون دخوله الجنة والنار بعد الموازنة، فإن كانت حسناته أكثر دخل الجنة، وإن كانت سيئاته أكثر دخل النار.

**والفرق بين الشرك الأصغر وسائر الذنوب**: أن سائر الذنوب وإن زادت على الحسنات فإن الله قد يغفرها وقد يتجاوز عنها، أما إذا زادت سيئة الشرك الأصغر على حسنات العبد، فإنه سيؤاخذ بهذا الذنب، ويعذب في نار جهنم إلى ما شاء الله ﷻ ثم يخرج بعد ذلك من النار.

**وأما الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر**: أنه لا يُحبط العمل كله، وإنما يُحبط العمل الذي قارنه واختلط به.

**ثانيًا**: أن الشرك الأصغر لا يُخرج العبد من دائرة الإسلام، وإنما يكون بذلك مرتكبًا كبيرةً من كبائر الذنوب.

**وثالثًا**: أنه لا يبطل ولايته ولا يحرم الميراث ولا الورث، وأنه يُدفن مع المسلمين، ويُصلى عليه، لكنه واقعٌ في ذنبٍ من عظائم الذنوب.

إذًا عرفنا ذلك، لابد أيضًا أن نعرف الأمر الثاني: وهي التي ذكرها الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عرفت دين الله الذي بعث الله به الرسل أجمعين، فالله سُبحَانَهُ وتَعَالَى بعث جميع الرُسل بالإسلام، والإسلام إسلامان:

- إسلامٌ عام.
- وإسلامٌ خاص.

وهو معني قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٩]، فلا يقبل الله يوم القيامة دينًا قبل بعثة محمد ﷺ إلا الإسلام الصحيح الذي هو: الاستسلام له بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، فهذا هو الإسلام الذي يقبله الله يوم القيامة.

أما بعد بعثة محمد ﷺ فلا يقبل الله من عبدٍ إلا الإسلام الخاص الذي جاء به رسولنا ﷺ، وكل يهودي أو نصراني أو وثني أو مجوسي، أو مشرك أتى بعد بعثة محمد ﷺ فإن الله لا يقبل منه عمل حتى يشهد بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

ومراد الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: أن جميع الرسل من لدن نوح عليه السلام إلى محمدٍ ﷺ كلهم يدعون إلى إفراد الله بالعبادة، ولم يأت نبيٍ ولا رسول يدعو إلى عبادة غير الله ﷻ، بل كلهم متفقون على هذه الشعيرة وعلى هذه الشريعة، أن يُعبد الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، فكل الرسل كان دعوتهم: أن يُعبد الله وحده، وأن يُكفر بالطاغوت الذي يُعبد مع الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، **هذا هو الأمر الثاني**.

**الأمر الثالث**: أن يعرف أن الله لا يقبل من عبدٍ عمل حتى يُحقق الإسلام، وأن العبد الذي حقق شيئًا من الإسلام وتَلبَّس بشيء من الشرك والكفر فإن الله لا يقبل عمله، والله لا يقبل إلا الإسلام كاملًا، ولا يقبل إلا الدين كاملًا، أما من أخذ بعض الدين وترك بعضه فإن ما أخذ لا ينفعه حتى يقبل الإسلام كله، حتى يأخذ الإسلام كله، ويأخذ الدين كله.

فإذا أتى بالصلاة والصيام، والزكاة والحج، وفعل جميع القرب التي تقربه إلى الله ﷻ، لكنه أشرك بالله ﷻ، كأن صرف الدعاء لغير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى أو ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو تقرب بقربةٍ لا يستحقها إلا الله لغير الله ﷻ فإنه يكون خالدًا مخلَّدًا في نار جهنم، وخارجًا من دائرة الإسلام.

**الأمر الرابع**: أن تعرف حال أهل الوقت، وأهل الزمان، فإن كثيرًا ممن ينطق بالشهادتين، ينطق بها وهو مخالف لها، بل ينطقها وهو جاهلٌ لمعناها، وجاهلٌ لمقتضاها، وجاهل لشروطها وأركانها، وهذا الصنف من الناس لا ينفعه قول «لا إله إلا الله» حتى يأتي ويُحقق الشروط والأركان، وأن العبد لا ينتفع باللفظ حتى يأتي بالمعاني، ويُحقق معنى هذه الكلمة.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **فإذا عرفت هذا أفادك فائدتين:**

**الفائدة الأولى: الفرح العظيم بفضل الله ﷻ وبرحمته.**

## • الشرح •

ولا شك أن من عرف أحوال الناس، ونظر في حال المشركين وحال الكفار، وتنظر في حال أهل الأرض فترى الأرض قد امتلأت بالكُفار، والمشركين، ثم ترى نفسك قد أنقذك الله ﷻ من هذا الشرك، وعصمك الله ﷻ من ها الكُفر، فهذه هي أعظم نعمة، يتقلب بها العبد.

وما أحسن ما قاله بشر الحافي -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عندما وقف على عتبة بابه وأطال القيام فقالت له أخته: يا بشر، ما الذي أصابك؟ قال: ذكر بشر اليهودي، وذكرت بشر النصراني، وذكرت بشر المجوسي والرافضي، وذكرت بشر المسلم، فبأي شيءٍ فضَّلني الله ﷻ؟!

عندما ترى فضل الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى عليك، وأن الله فضَّلك بهذا التوحيد العظيم، وكنت من أهله الذين حققوا معناه ومقتضاه، وأتيت بشروطه وأركانه، فهذه أعظم نعمة تتقلب بها أن تكون من أهل الإسلام، فالمسلم الموحِّد لناجٍ لا محالة يوم القيامة وإن عُذِّب على كبائره، وعلى معاصيه، فإن مآله ومرده إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض.

أما إذا كان على الكفر والشرك، وعلى عبادة غير الله ﷻ فإن مآله النار خالدًا فيها أبد الآباد، لا يخرج منها أبدًا، فأعظم نعمة علينا أن عرَّفنا الله التوحيد، وأن علَّمنا إياه، وأن جعلنا من أهل لا إله إلا الله ومن أهل الإسلام، فنسأل الله كما هدانا إليه أن يُميتنا عليه، وأن يُثبتنا عليه، فهذه أعظم نعمة، الفرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨].

**وأفادك أيضًا فائدةً أخرى**: وهي الخوف العظيم عليك أيها الموحد، الخوف العظيم عليك أيها المسلم، فإنك قد تخرج من دائرة الإسلام وأنت لا تشعر، قد تنتقل من الإيمان إلى الكفر بكلمةٍ تقولها، أو بفعلٍ تفعله، وأنت لا تشعر فتخلد مخلدًا في نار جهنم، وتموت على هذه الكلمة فتكون من أهل النار.

فهذا يُفيدك الخوف العظيم إذا رأيت أحوال الناس، ورأيت أحوال أكثر الخلق، فهذا يتخبط في كفره، وذاك يتخبط في ضلاله، وقد عصمك الله ﷻ فأنت تدور بين الفرح وبين الخوف.

الفرح: أن هداك الله للإسلام، والخوف: أن يُسلب منك هذا الإيمان، فإن أُناسًا كانوا على توحيدٍ وإسلام، وكانوا على إيمانٍ عظيم، اليوم هم ملحدون كافرون بالله ﷻ حتى أن بعضهم يرفع عقيدته قائلًا: أنا لا ديني، ولا أنتسب إلى دينٍ، نسأل الله العافية والسلامة، وهذا المسكين ما علم أنه بهذا القول: قد خلَّد نفسه في نار جهنم، واستوجب عذاب الله وسخطه بهذا القول.

وأقول هذا؛ لأننا في هذه الأيام نسمع من شباب المسلمين ومن كثير ممن هو من أبناء المسلمين يزعم أنه انتسب إلى الإلحاد، فترى بعضهم يُشكك في وجود الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وآخر يُشكك في الإسلام، وآخر يتبرأ من الأديان كلها، ويقول: أنا لا ديني، وهذا منتشر في ما يسمى بقنوات التواصل التي هي على شبكة النت، تجد ذلك واضحًا وبيِّنًا، فيفيدك هذا الخوف العظيم، أن يسلبك الله الإيمان، أو أن يسلبك الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى الإسلام.

وفي الصحيحين: **«بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا»**[1] تأمل! **«يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قليل»**، فمن الناس من يكفر ليُشفى من مرضه، ومن الناس من يكفر ليُحصِّل مالًا قليلًا، ومن الناس من يكفر لأجل شهوةٍ يُحققها أو يحصل عليها، فالأمر خطيرٌ جدًا والخطب عظيمٌ نسأل الله العافية والسلامة.

فمراد الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أن تتذكر هاتين الفائدتين، وأن تلزمهما قلبك دائمًا، فتفرح بفضل الله عليك، وتخاف أن يسلبك الله ﷻ الإيمان.

---

(١) صحيح مسلم (١١٨).

## • المتن •

قال بعد ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: **فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر كلمةٍ يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يُعذر بالجهل.**

## • الشرح •

ومعنى كلامه هذا -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أن الإنسان قد يكفر بالكلمة كما يكفر بالفعل، وكما يكفر بالاعتقاد، وأن قوله هذا يرد على غلاة الجهمية، القائلين: أن الكُفر لا يكون إلا بالجحود والتكذيب، بل نقول: إن الكفر يكون بالجحود، ويكون بالتكذيب، ويكون بالإعراض، ويكون أيضًا بالأفعال والأقوال.

فإن العبد قد يقول كلمة يخرج من دائرة الإسلام، خاصةً من يجري على لسانه سبُّ اللهُ أو سبُّ رسوله، أو الاستهزاء بدين الله ﷻ، فإن المستهزئ والسابَّ كافرٌ بالله ﷻ وخارج من دائرة الإسلام، وحيث أن هذه المسألة تحتاج إلى طول كلام، نؤجِّلها بإذن الله ﷻ إلى الدرس القادم، والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى اللّٰهم وسلم وبارك على نبينا محمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

## المتن

**قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يُعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظنَّ المشركون.**

## الشرح

في هذا المقطع يُبين شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أن الكفر يتعلق بالأقوال كما يتعلق بالأفعال، كما يتعلق بالاعتقاد، والكفر أصله من التغطية والستر، وسُمي كفرًا؛ لأن الكافر يُغطي إيمانه وإسلامه بما ارتكبه من ناقض من نواقضه فيخرجه من دائرة الإسلام، هذا هو الكفر.

والكفر عند أهل السُنة يتعلق بالقلب، ويتعلق باللسان، ويتعلق بالجوارح، فإن المسلم قد يكفر بكلمة يقولها، وقد يكفر بفعلةٍ يفعلها، وقد يكفر باعتقادٍ يعتقده.

وأما غير أهل السُنة فيقصرون الكفر على القلب، إما على تكذيبه، وإما على جحوده، وأما الأقوال والأفعال فلا تكون كفرًا بذاتها وهذا القول هو قول الجهمية، وهو خلافٌ لقول الله ﷻ ولقول رسوله ﷺ.

فربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى ذكر عن الجُلاس بن سويد في قوله: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[التوبة: ٧٤]، فالجُلاس قال مقولة كفر بها، وهي قوله: إن كان محمد صادق فيما يقول فنحن شرٌّ من الحمير، فكفر بهذه الكلمة وكفَّره الله ﷻ.

وأخبر ربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى عن الذين استهزئوا بالله ورسوله أنهم كفروا بعد إيمانهم، فقال سُبحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٦]، وفي تفسير ابن جرير الطبري عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن ابن عمر -رضي الله تعالى عنه- في قصة هؤلاء النفر، أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فكانوا يقولون فيما بينهم: **"ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء! أرغب بطونًا وأجبن عند اللقاء"**،

وكانوا يقولون من باب قطع عناء الطريق عنهم، أو من باب التحدث، فأتى الوحي إلى رسول الله ﷺ قبل أن يأتي بمقولتهم عوف بن مالكٍ الأشجعي رضي الله تعالى عنه.

فأخبر الله ﷻ أن هذه الكلمة التي قالوها على وجه الاستهزاء والسخرية بالله ورسوله أنهم كفروا فقال: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٦]، فأفادت هذه الآية والتي قبلها أن المسلم يكفر بكلمةٍ يقولها أو بفعلٍ يفعله وإن لم ينعقد عليه قلبه.

والكفر عند أهل السنة ينقسم إلى أقسام:

**أول أقسامه**: كفر التكذيب.

وهو أن يُكذِّب الله أو رسوله ﷺ أو أن يكذِّب شيئًا مما جاء به رسولنا ﷺ، فمن كذَّب الرسول كفَر بإجماع المسلمين، ومن كذَّب الله في خبره كفَر أيضًا بإجماع المسلمين، فهذا هو النوع الأول كفر التكذيب.

**النوع الثاني**: كفر الاستكبار.

فالذي يستكبر أن ينقاد إلى شريعة الله وإلى دين الله ﷻ فهذا أيضًا كافرٌ بإجماع المسلمين.

**النوع الثالث**: كُفر الجحود.

وهو الذي يجحد ما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو يجحد ما هو واجب معلوم من الدين بالضرورة، كأن يجحد وجوب الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج، أو أي شريعةٍ ثبتت في كتاب الله ﷻ، أو في سُنة رسوله ﷺ، فمن جحدها كفر بإجماع المسلمين.

**النوع الرابع**: كفر الإعراض.

والمراد بالإعراض هنا: الإعراض الكُلي، أن يُعرض عن دين الله ﷻ لا يتعلمه ولا يُعلمه، هذا الإعراض كفرٌ بالله ﷻ، وخروج من دائرة الإسلام؛ لأن الموحد والمسلم مُلزمٌ أن ينقاد ويتعلم شريعة الله ﷻ حتى يُحقق توحيد الله، وحتى يُحقق الأركان التي أمر الله ﷻ بها، فإذا أعرض عن دين الله ﷻ إعراضًا كليًّا يكون كافرًا بهذا الإعراض، أو أعرض إعراضًا جُزئيًّا عما يتعلق بتوحيد وصحة إسلامه، فإذا أعرض عن التوحيد خاصة، كفر بالله ﷻ، أو أعرض عن الصلاة فلا يتعلمها ولا يعمل بها ولا يُقيمها كفر أيضًا بهذا الإعراض وإن كان جُزئيًّا؛ لأنه يتعلق بأمرٍ لا يصح الإسلام إلا به.

فإذا أعرض عن شيءٍ لا يصح الإيمان إلا به ولا الإسلام إلا به فإن إعراضه عنه يكون عندئذٍ كفرًا بالله ﷻ.

**النوع الخامس من أنواع الكُفر**: كفر النفاق.

وهو الذي يُبطن الكفر ويُظهر الإسلام، وهم المنافقون الذين خرجوا في زمن النبي ﷺ، وما زالوا إلى يومنا هذا يتسالون، ويتوارثون إلى أن يرث الله ﷻ الأرض من عليها، وكفر النفاق هو شر الكفر؛ لأن الله ﷻ أخبر أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار؛ ولأن المنافق يُظهر لأهل الإسلام الولاء والمحبة، ويُبطن لهم العداء والخداع والخيانة نسأل الله العافية والسلامة، وعلامة هؤلاء أو صفاتهم ما جاء أن لهم ست صفات تدل على أنهم منافقون نفاقًا يُخرجهم من دائرة الإسلام.

**الصفة الأولى من صفات هؤلاء المنافقين**: أنهم يُكذِّبون الله ورسوله، تكذيبهم لله ولرسوله ﷺ.

**الصفة الثانية**: أن يكذبوا بعض ما جاء به الله، أو بعض ما جاء به رسوله ﷺ.

**الصفة الثالثة**: بغضهم دين الله ﷻ بغضًا كُليًّا.

**الصفة الرابعة**: أنهم يُبغضون شيئًا من دين الله ﷻ، أو من شريعة الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

**الصفة الخامسة**: أنهم يفرحون بانتصار الكُفار وظهور الكفار على المسلمين.

**الصفة السادسة**: أنهم يحزنون ويستاؤون إذا انتصر أهل الإسلام على الكُفار، فإذا وقع الواحد في صفةٍ من هذه الصفات، كان منافقًا نفاقًا اعتقاديًّا يُخرجه من دائرة الإسلام.

فهذه أنواع الكفر، فقد يكون الكفر بالقول، وقد يكون الكفر بالفعل، وقد يكون الكفر بالاعتقاد، **فمن كُفر القول**: أن يستهزئ بدين الله ﷻ.

**ومن كفر الفعل**: أن يذبح لغير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، أو أن يسجد لصنمٍ أو أن يصرف عبادة لغير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

**وأما كفر الاعتقاد**: فهو الجحود والاستكبار، والتكذيب المتعلق بالقلب نسأل الله العافية والسلامة.

**المسألة الثانية**: ذكر هنا قوله: أن الإنسان يكفر بكلمة يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل.

**أولًا**: هنا ذكر أن المسلم يكفر ولو قال الكلمة وهو جاهلٌ بها، ومعنى قوله: جاهلًا بها، أي: جاهلًا أنها تكَفِّر؛ لأن هناك فرقٌ بين قصد اللفظ، وقصد الحكم، فالذي يشترط في التكفير: أن يقصد اللفظ، أما إذا لم

يقصد اللفظ كأن خرج اللفظ دون قصدٍ، إما لخطأ، أو لسبق لسانٍ، أو لشدة خوفٍ، أو لإكراهٍ، فإنه لا يُكفِّر بالكلمة الكفرية حتى يقصدها، ولا نشترط في ذلك قصد الكُفر؛ لأن من الجهمية من يقول: أنه لا يُكفَّر حتى يقصد الكفر، لا في قوله ولا في أفعاله، ويبنون القول والفعل ويردُّونه إلى القلب، فإنه إذا تكلَّم بكفرٍ فإن ذلك دليلٌ على تكذيبه، وعلى عدم إيمانه بالله ورسوله ﷺ.

إذًا قول الكفر وفعل الكفر يشترط فيه أن يقصد الفعل والقول، أما إذا لم يقصد الفعل ولا القول، فإنه لا يُكفَّر إلا إذا قصده، وأما اشتراط أنه يشترط الكُفر فهذا اشتراط باطل، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- وقال أيضًا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أنه لو قيل: أنه لا يوجد أحد يقصد الكفر لما بعد قوله عن الصواب، فأبو جهلٍ وأبو لهب وجميع الكفار إنما عبدوا وفعلوا ما فعلوا بقصد التقرب إلى الله ﷻ، ولم يكن أحدٌ منهم يقصد الكفر بالله ﷻ، بل كان أبو جهل يستفتح على الله ﷻ، ويقول: **«اللّٰهم انصر أحب الرجلين إليك»**.

إذًا لا يوجد من يقصد الكفر أو يريده إلا من ندر وشذ، وأما عامة الناس فإنهم يكفرون بأقوالهم وأفعالهم، ولا يقصدون الكفر بالله ﷻ، إذا عرفنا ذلك، فمراد المُؤلف -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: أنه يجهل الحكم لا أنه يجهل اللفظ، فإذا قصد الله وقاله قاصدًا له كفر بالله ﷻ، ولو كان جاهلًا أن هذا القول يكفر به، ويخرج به من دائرة الإسلام.

ومسألة الجهل والعذر بالجهل لابد أن نعرف أن الجهل ينقسم إلى أقسام، الجهل ينقسم إلى ثلاثة أقسام أو أربعة:

**القسم الأول**: جهل التفريط،أن يكون جهله جهل تفريطٍ.

**والقسم الثاني**: أن يكون جهله جهل إعراض.

**والقسم الثالث**: أن يكون جهله جهل عجز.

هذه ثلاثة أنواع من أنواع الجهل.

**أما جهل التفريط**: فهذا لا يُعذر الجاهل به بالإجماع، فإذا كان مفرِّطًا في معرفة الحق مع وجود أسبابه ووجود الحُجج والبراهين الدالة على الحق، ولكنه تركه تفريطًا به، وفعل ما يُناقض الإسلام لجهله، فإن هذا الجهل لا يُعذر به بالإجماع.

**النوع الثاني**: جهل الإعراض، وهو أن يُعرض عن كلام الله، وعن كلام رسوله ﷺ ويرتضي حاله الذي هو عليه من الكُفر بالله ﷻ، ومن الشرك به سُبحَانَهُ وتَعَالَى، فهذا أيضًا يكفر بإجماع المسلمين، ولا يُعذر بجهله.

**القسم الثالث**: من جهله جهل عجزٍ، وهو الذي طلب الحق، وبذل وسعه في تحصيله، وبذل جهده ولكنه لم يستطع أن يعرف الحق على وجهه وعلى صحته، فهذا النوع من الناس وهذا القسم من الناس هو الذي يُعذر في الآخرة لا في الدنيا، ولا يُعذبه الله ﷻ يوم القيامة، ولا يُدخله النار إلا إذا أقيمت الحُجة عليه، وبلغته الحُجة الرسالية كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥].

فهذا القسم من الجُهَّال هو الذي لا يُعذَّب يوم القيامة ولا تُقام عليه أحكام الكُفر إلا بعد إقامة الحُجة عليه.

أما ما يتعلق في ظاهر حاله وظاهر وصفه فإننا نُسميه بأنه وقع في الشرك والكُفر، واتصف به، لكن إنزال الأحكام عليه، أحكام الكفر من قتلٍ واستباحة دمٍ فلا يكون إلا بعد إقامة الحُجة، وأما إذا مات هذا الصِنف من الناس ولم تبلغه الحُجة، فإن أمره إلى الله ﷻ وهو يُمتحن يوم القيامة في عرصاتها كم جاء في حديث الأسود بن سريع، وحديث أبي هريرة وأنس بن مالك، وإن كان في أسانيدها ضعف، أنه يُدلي بُحجته على الله ﷻ، ومنهم أهل الفترات، وهو الذي لم تبلغه الحُجة، فيأمره الله ﷻ أن يدخل النار، فإذا دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، وإن لم يدخلها عُذِّب في نار جهنم وخلد فيها أبد الآباد.

أما من جهة أسماء الدنيا والأحكام المترتبة على ما ارتكبه من الشرك والكفر في الدنيا، فإننا ننزلها عليه، أما الأسماء التي تنزل عليه في الدنيا.

**أولًا**: أن نسميه مشركًا، نسمي من تلبس بالشرك ووقع فيه ولو كان جاهلًا جهل عجزٍ، نسميه مشركًا، وفي حال هذا الفعل لا يرث ولا يورث، ولا يُدفن مع المسلمين، ولا يُصلى عليه، ونحكم عليه في أعماله أنه في حكم الكفار والمشركين.

**أما في الآخرة**: فأمره إلى الله ﷻ كما ذكرنا سابقًا، وهذا يتعلق في أصل الدين الذي هو تحقيق معنى لا إله إلا الله، وتحقيق توحيده، أما ما دون أصل التوحيد كشعائر الإسلام الظاهرة من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ

وما شابه ذلك من الشرائع الظاهرة، فإنه يُعذر بجهله، ويبقى اسم الإسلام عليه؛ لأنه يُعذر بترك هذه الأشياء بجهله.

ودليل ذلك: ما جاء عند ابن ماجة بإسنادٍ صحيح عنه أنه قال: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يبقى منه شيء، حتى يقول رجالٌ أدركنا آبائنا يقولون: لا إله إلا الله»، أي: لا يعرفون صلاة ولا صيام، ولا زكاة، ولا حج، قال: صلة تنفعهم قال: «إي وربي تنفعهم»، فهؤلاء نفعتهم كلمة التوحيد؛ لأنهم حققوا أصل الإسلام وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، وإنما جهلوا جهل عجزٍ عن معرفة الحق وإدراكه، فنفعهم ذلك يوم القيامة وبقي عليهم اسم الإسلام وبقوا في دائرة الإسلام.

أما الذي يعبد غير الله، ويشرك بالله ﷻ ويعبد الأولياء والصالحين، ويدعو عبد القادر الجيلاني، ويدعو غيره ممن يُدعى من دون الله ﷻ وهو جاهلٌ بذلك جهل عجزٍ أي لا يعلم حقيقة الأمر، فإننا نسميه مشركًا، ونحكم عليه في ظاهر حاله أنه من المشركين، ولو مات على هذه الحال لم نصل عليه، ولم ندفنه مع المسلمين، ولا يورث من أوليائه الذين هم من أهل الإسلام، بل يكون حكمه في الظاهر لنا، أنه مشركٌ كافرٌ خارج عن دائرة الإسلام.

**أما في الآخرة**: فإنه يُمتحن في عرصات القيامة، فإن أجاب دخل الجنة، وإن عصى دخل النار، وكانت الحجة قد قامت عليه.

أما من بلغته الحُجة من هؤلاء الجُهال الذين عجزوا عن معرفة الحق في بلوغ القرآن الكريم لهم، فإذا بلغهم القرآن بلسان يفهمونه أي كانوا عربًا، ويفهمون لسان العرب وبلغهم القرآن وتُلي عليهم، فإن الحُجة قد قامت عليهم ببلوغ القرآن، وإذا كانوا عجمًا لا يفهمون القرآن، وأتى لهم من يُعلمهم القرآن ويُترجمه لهم ويُبين معانيه لهم، فإن الحُجة أيضًا قد قامت عليهم، ويُحكم عليهم أنهم مشركون كفار في الدنيا والآخرة، وأنهم خالدون مخلدون في نار جهنم.

وأما المسألة التي يُعذر المسلم فيها بالجهل، فهي ثلاث مسائلٍ فقط، نقل الإجماع عليها:

**وهي المسألة الأولى في الشرائع الظاهرة**: لمن كان حديث عهدٍ بإسلام هذه هي المسألة الأولى، من كان حديث عهدٍ بإسلام فإنه يُعذر بجهله.

**المسألة الثانية**: من كان ناشئًا في بادية بعيدة، فإنه يُعذر بجهله في المسائل في الشرائع الظاهرة.

**والمسألة الثالثة**: في المسائل الخفية.

إذًا ثلاث مسائل يُعذر المسلم فيها بجهله وهي، أو ثلاثة أحوالٍ يُعذر المسلم فيها بجهله.

**الحالة الأولى**: أن يكون حديث عهد بإسلام، وصورة ذلك: أن يُسلم عندنا رجلٌ كافر، فيشرب الخمر ويظنها حلالًا، أو يترك الصلاة ويظن أنها ليست بواجبة، فهذا الصنف من الناس نعذره بجهله، ولو مات وهو يشرب الخمر مستحلًا له لا يعلم حُكمه حكمنا عليه بالإسلام، كذلك لو ترك الصلاة على أنها غير واجبة وهو حديث عهدٍ بإسلام حكمنا عليه بالإسلام؛ لأنه يُعذر بالجهل في هذه المسألة.

**الحالة الثانية**: أن يكون ناشئًا في بادية بعيدة، في أدغال أفريقيا، أو في الأقطاب الشمالية أو في الجنوبية، ولم يبلغه الإسلام، ولم تبلغه الحُجة، فهذا النوع من الناس يُعذر بجهله في المسائل وفي الشرائع الظاهرة، أي في الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، فلو ترك الصلاة وترك الصيام وترك الزكاة وترك الحج ولم يفعل شيئًا من شرائع الإسلام إلا أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإننا نحكم عليه بأنه مسلم، ويُدفن مع المسلمين، ويُعذر بجهله؛ لأنه ناشئًا وبعيدًا عن بلاد الإسلام، ولا يُمكن ولا يستطيع أن يعرف أحكام الشريعة.

**أما الحالة الثالثة**: فتتعلق بالمسائل الخفية، وهذه المسائل يشترك فيها كل الناس، كل مسلم يشترك في هذه المسائل الخفية، وهي المسائل التي لا يمكن الاطلاع عليها إلا بالبحث والنظر والتحرِّي، فأما مثل مسائل الصرف والعطف، ومثل مسائل بعض أبواب الربا التي يجهلها كثيرٌ من الناس.

أما من قامت عليه الحُجة وبلغته الحجة سواء في هذه المسائل الخفية أو في المسائل الظاهرة، ثم أصرَّ على مخالفتها وتركها فإنه يُكفَّر بعينه، ويُحكَم عليه بالكفر، نسأل الله العافية والسلامة، إذًا هذه مسألة العُذر بالجهل، ومتى يُعذر ومتى لا يُعذر؟

**المسألة الثالثة**: من عذر المسلمين بالجهل، هل يُكفَّر أو لا يُكفَّر؟

الصحيح: أن من عذر الجاهل بجهله، ولم يُكفِّره فإنه لا يُكفِّر إلا إذا رأى أن الكُفر الذي تلبس به ليس بكفر، فإذا أنكر الكُفر كفر بتكذيبه وإنكار الكفر والشرك لا بعدم بتكفيره للجاهل، فإن ترك تكفير الجاهل قولٌ غير صحيح لكن من ترك تكفيره لا يُنزل عليه قول شيخ الإسلام، في «نواقضه» عندما قال: **"من لم يُكفِّر الكافر أو شك في كفره فإنه يكفر"**، إنما هذا من كان كُفره صريحًا بيِّنًا واضحًا، وأُقيمت عليه الحُجة

وقامت عليه ثم ترك تكفيره بعد ذلك فإنه يُكفَّر كالكافر الأصلي من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين، أو ممن كفره مستبين واضح بيِّن، وترك تكفيره فهو الذي يُكفَّر.

أما إذا ترك تكفيره لأجل الجهل وعذره بجهله، فإنه لا يُكفِّر، وقد نقل الشيخ سليمان بن سحيمان -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- الاتفاق على هذا القول ، **"والقول بتكفيره لا دليل عليه، القول بتكفير العاذر لا دليل عليه، وليس لمن قال به وكفَّر به ليس له سلفٌ في ذلك إلا عمومات لا يمكن الأخذ منها بتكفير المسلمين بهذه العمومات والله أعلم"**.

فليحذر المسلم من تنزيل هذه المسألة والخوض فيها، وهو جاهل بها فيكفِّر المسلمين بهذه العلة أو يُكفِّر كل من لم يُكفِّر الكافر بعلة أنه كافر، فإنه يُشترط في تكفير الكافر أن يكون كفره أولًا كفرًا أصليًّا كاليهود والنصارى، فمن ترك تكفيره كفر بالإجماع، أو أن يكون مرتدًّا، وردته واضحة وبينة، وقامت الحُجَّة عليه ثم ترك تكفيره فإن التارك عندئذٍ يُكفَّر لعدم تكفير من كفره الله ورسوله، هذا الذي قصده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

**ويؤخذ من هذا المقطع**: أيضًا تقريرٌ وتوضيحٌ لأن مذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: أنه لا يُعذر بالجهل، وكل ما نُقل عنه أنه قال: لا أُكفِّر من طاف حول قبة الكواز، أو نحو هذه الأقوال، فمراده -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: التكفير الذي يترتب عليه إقامة القتل واستباحة الدماء إلا بعد إقامة الحُجة، فإنه -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يُكفِّرهم بالاسم والوصف، ويُنزِّل عليهم الأحكام التي تتعلق بذلك كإبطال ولايته وعدم ميراثه، أما قتله واستباحة دمه فإنه لا يُنزِّل ذلك عليه إلا بعد إقامة الحُجة.

وهذا الذي نفاه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وهذا الذي ذكره أبناؤه -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عندما قالوا: **"فكل من بلغته هذه الدعوة ومات بعد بلوغها فإننا نحكم عليه بالكفر في الدُنيا والآخرة، وأما من لم تبلغه الدعوة فأمره إلى الله ﷻ، لأننا لا نعلم هل قامت عليه الحُجة أو لم تقم عليه الحجة، فمن قامت عليه الحُجة فإنه يُحكم بكفره، ومن لم تقم عليه الحُجة فإن أمره إلى الله ﷻ"**.

ولا يجوز أن يُسمى مسلمًا وهو متلبس بالشرك؛ لأن الإسلام معناه الاستسلام لله بالتوحيد، وهذا الذي دعا وعبد غير الله ﷻ وصفه بالإسلام وصفًا كاذبًا، فكيف تقول أنه مسلم وهو يعبد غير الله ﷻ؟ ويشرك بالله سُبحَانَهُ وتَعَالَى فإنه لا يُسمَّى مسلم وهذا وصفه، بل وصفه أنه يوصف بأي شيء؟ بأنه مشرك،

كمن وقع في زنا وهو لا يعلم أنه زنا نقول: أنت زاني ولكن حكم الزنا وتنزيل الحكم عليك لا ينزل بك لجهلك ولعدم علمك به، لكن يبقى إثم الزنا ووصفه منطبقٌ عليك؛ لأنك زنيت، وقعت على امرأة لا تحل لك بعقدٍ صحيح، كذلك المشرك يسمى مشركًا وإن عذرناه بجهله بالآخرة، فإننا نسميه مشركًا في الدنيا والله أعلم.

## • المتن •

**قال بعد ذلك: وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى اللّه ﷻ.**

## • الشرح •

أي أن قوله إياها جاهلًا أو قوله للكفر ظانًّا أنه يقربه إلى الله ﷻ لا ينفعه يوم القيامة ولا يُعذر بذلك إلا في حالة واحدة وهي حالة الإكراه، فالمُكره هو الذي يُعذَر في كفره إذا تلبس به أو إذا قاله.

**وحالةٌ ثانية**: إذا قاله مخطئًا، إذا قال كلمة الكُفر مخطئًا، كأن يُخطئ فيريد أن يُثني على الله ﷻ أو يمدحه، فيسب الله ﷻ كما جاء في الصحيحين في قصة الرجل الذي وجد راحلته بعد أن يأس من وجودها فقال: «اللّهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[1]، فهذا لا يُكفَّر؛ لأنه لم يقصد اللفظ، وإنما خرج اللفظ دون قصد، وقد ذكرنا سابقًا أو فيما مضى أنه يشترط في قول الكفر وفعل الكفر قصد الفعل والقول، أما إذا فعله من دون قصد كأن قاله خطئًا أو فعله خطئًا، فإنه لا يُكفِّر حتى يقصد الفعل والقول.

ثم ذكر قصة قول موسى عندما قالوا لموسى عليه السلام، ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٨]، أي هؤلاء الذين كانوا مع موسى عليه السلام عندما مرُّوا بأُناسٍ قد جعلوا لهم صنمًا وجعلوا لهم آلهة يعبدونها من دون الله ﷻ ﴿قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، أي اجعل لنا ما نتبرك به ونطوف به، أو ندعوه أو ما شابه ذلك.

قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، فهؤلاء لم يقولوا هذه الكلمة بقصد أنهم يُشركوا بالله ﷻ، أو أنهم يكفروا بالله سُبحَانَهُ وتَعَالَى وإنما قالوه بقصد التقرب إلى الله ﷻ، وأن هذا الفعل مما يُرضي ربهم سُبحَانَهُ وتَعَالَى ويُرضي الله ﷻ فقصدوا هذا الفعل، وهذا الفعل كما قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي تجهلون حقيقة التوحيد، وتجهلون حقيقة الإسلام، وحقيقة ما يليق بالله ﷻ وأن قولكم هذا ودعائكم هذا وطلبكم هذا قولٌ باطلٌ ودعوةٌ باطلة، ولم ينقل أن أحدًا كفَّر هؤلاء الذين قالوا هذه المقولة، ولم ينقل أنه من قال بعدم ذلك إلا البغوي فإنه قال: لم يكفروا؛ لأنهم لم يفعلوا.

---

(١) مسلم (٢٧٤٧).

وقد ذكر أيضًا شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب: أنهم لم يفعلوا، ولو فعلوا لكفروا، فإنما سألوا المُشرِّع، ولو أجاز ذلك لهم لجاز ولم يكفروا لعدم الفعل.

## • المتن •

**قال بعد ذلك: واعلم أن اللّه سُبحَانَهُ وتَعَالَى من حكمته لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى:** ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ **[الأنعام: ١١٢].**

**وقد يكون لأعداء التوحيد علومًا كثيرة وكتبٌ وحججٌ كما قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ **[غافر: ٨٣]، إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى اللّه لابد له من أعداء قاعدين عليه، أهلُ فصاحةٍ وعلمٍ وحُجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين اللّه ما يصير سلاحًا لك لتُقاتل به.**

## • الشرح •

هذه المسألة تتعلق بأن من سلك طريق التوحيد، وسلك طريق محمدٍ ﷺ لابد أن يُبتلى، ولابد أن يكون له أعداء، فإن هذه سُنةٌ كونية جعلها الله ﷻ في هذه الأرض كما قال تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت: ١ - ٣].

فلابد لمن سلك طريق الحق أن يُبتلى وأن يُمتحن، وأن يقف له في الطريق أعداءٌ متربصون به، فإن أعداء الدين كُثر، وأعداؤه على طبقات شتى، وعلى درجات مختلفين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[المطففين: ٢٩، ٣٠]، فلأهل الدين والتوحيد وأهل الحق لهم أعداء يتربصون بهم.

وفي صحيح البُخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«حُفَّت النار بالشهوات، وحُفَّت الجنة بالمكاره»**[1]، ومن المكاره التي تُحفُّ بها الجنة أنه يُنصب لك الأعداء الذين يحولون دون طريقك إلى الله ﷻ ودون سلوكك إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وأول هؤلاء الأعداء وزعيمهم ورئيسهم وهو الشيطان لعنه الله ﷻ الذي أخذ العهد على ربه سُبحَانَهُ وتَعَالَى أن يتربص بنا، وأن يأتينا من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، ولهذا العدو حزبٌ وجندٌ يتابعونه، يؤزهم على أهل الإيمان أزًّا، وهي

---

(١) مسلم (٢٨٢٢).

العقبة السابعة من عقبات الشيطان لأهل التوحيد: أن يُرسل لأهل التوحيد أوليائه فيصدونهم عن سبيل الله ويُحاربونهم.

ولا يزال الحق والباطل متناحران متضادان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلابد أن تعلم أن الموحِّد الذي يسير على لطريق لابد أن يُبتلى بالأعداء، وهؤلاء الأعداء هم قسمان وصنفان من الناس:

**الصنف الأول منهم**: الرؤساء الذين يترأسُون الناس إما بحُكمٍ وسلطان، وإما بعلمٍ وعبادةٍ، فهؤلاء الصنف من الناس هم أشد الأعداء على الموحد وعلى أهل التوحيد، أما أهل السلطان وأهل الحُكم فإنهم يسومون الناس بسُلطانهم وحُكمهم ويُحاربونهم بقوتهم وما أوتوا من جنودٍ، فيُعادون أهل التوحيد والإيمان، ففرعون عندما خرج موسى عليه السلام يدعوه إلى التوحيد قال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾[الشعراء: ٥٤]، وكاده وتربَّص به وأراد قتله وقتل أصحابه، وهكذا كلُّ نبيٍّ أتى فإن الذي يتربص به أول من يتربص الرؤساء والزعماء والحُكَّام.

فإبراهيم عليه السلام النمرود أوقد نارًا عظيمةً أجَّجها فألقاه فيها فأنجاه الله ﷻ منها، وموسى عليه السلام تربص به فرعون -لعنه الله- حتى أهلكه الله ﷻ، وكذلك عيسى عليه السلام تربص به قومه وهموا بقتله حتى خُيِّل إليهم أنهم صلبوه وقتلوه، وما قتلوه وما صلبوه بل رفعه الله ﷻ إليه.

وكذلك محمدٌ ﷺ تربَّص به أهل قريش وتربَّص به السادة حتى أوذي أذىً عظيمًا، كما جاء عند أحمد عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **«لقد أُخفت في الله وما يُخاف أحد، ولقد أُوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتى علي ثلاث ليالي ليس لي طعامٌ ولبلال إلا ما يواري إبط بلالٍ»**[1].

وقد حوصر بالشعب عليه الصلاة والسلام ثلاث سنوات حتى لا يجد ما يأكل ﷺ بل يقول سعد: **"ذهبت لأقضي بولي، ذهبت لأقضي حاجتي فسمعت لصوت بولي قعقعةً فإذا هو يقع على جلد ميتةٍ فأخذته فغسلته فأكلته رضي الله تعالى عنه"**، هكذا أهل التوحيد، لابد أن يقع عليهم البلاء والشدة، ولكن العاقبة للمتقين، والنصر لابد لهم، فهذا القسم من الناس هم الرؤساء والزعماء أو العلماء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٧٢).

**والقسم الثاني من الأعداء**: عامة الناس، الهمج الرعاع الذين هم أتباع لأولئك الذين يترأسونهم والذين يكونون زعماء لهم، ولا شك أن الناس على دين ملوكهم، وعلى دين زعمائهم، فإذا كان الملوك والزعماء على باطل، فإن عامة الرعايا تكون مثلهم، إلا من أنجاه الله ﷻ، وعرفت أن هؤلاء الأعداء أنهم أهل حُجج وبراهين وفصاحة، فلابد عندئذٍ أن يكون معك من العلم ما تدفع به هذا الباطل، وما تردُّ به هذا الكيد والمكر، فلا يغرك كثرتهم فهم كالذُّباب فلا تخشى من ذُبَّان.

هؤلاء مع كثرتهم وكثرة عددهم فإن حججهم تتهافت كما تتهافت الزجاج إذا كُسر، وكذلك هم كالذُّباب ولا يضرك كثرتهم فإن الله ناصر حزبه، وناصر أوليائه، وحزب الله هم المفلحون، وحزب الله هم المنتصرون.

فأراد المُؤلف بهذه المقدمة أن يبين لك أنك أحوج ما تكون أن تتسلح به سلاح العلم، والسائر إلى الله ﷻ يحتاج إلى سلاحين:

- سلاحُ علمٍ يدفع به الشبهات.
- وسلاح تقوى يدفع به الشهوات.

فمن سار إلى الله ﷻ بغير هذين السلاحين فإنه حتمًا سيهلك، إما سيهلك في أودية الشُّبهات، وإما سيهلك في أودية الشهوات، أما إذا سرت إلى الله ﷻ بالعلم والتقوى وبالهُدى والدين فإن الله ناصرك ومؤيدك، ولا يغرُّك كما ذكر الشيخ حُججهم وبراهينهم وفصاحتهم وقوة بلاغتهم فإن هذا لا ينفعهم فهم يعلمون ظاهرً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون.

وإنما الذي يكفيك من ذلك أن تتعلم التوحيد وحقيقته، وأن تتعلم شرائع الإسلام، وما لا يسعك جهله وأن تأخذ بالنصوص الظاهرة الواضحة البينة، وسيتدرج معنا شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في هذا الكتاب:

كيف نرد على أهل الباطل؟ وكيف ندفع حُججهم، وندفع شبهاتهم؟ وهذا أول مضمون الكتاب الذي أُلِّف لأجل الكتاب، وهي الشبه التي أثارها أعداء التوحيد فسيذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

## • المتن •

**قال بعد ذلك: فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحًا تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك** ﷻ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ **[الأعراف: ١٦، ١٧]**.

## • الشرح •

وهذا الشيطان هو قائدهم وزعيمهم وهو الذي يؤز أولياءه إلى أولياء الله ﷻ محاربين ومُعادين.

قال: **"ولكن إذا أقبلت على الله أي بالدعاء والإلحاح على الله بأن يسلم قلبك، وأن يُثبته على الصراط المستقيم، وألا يُزيغه"** فقد جاء في البخاري أن دعاء رسول الله ﷺ **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»**[١]، وجاء في الصحيح أنه قال: **«لا ومُقلب القلوب هي أكثر يمينه ﷺ»**[٢]، **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»**[٣] جاء في صحيح مسلم، وفي صحيح البُخاري أن يمينه لا ومُقلب القلوب.

والله يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران: ٨]، فأول ما يجب عليك أن تسأل الله الثبات، وأن تسأل الله السداد كما جاء في صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال له: **«يا عليّ سل الله الهُدى والسداد»**[٤]، فليحرص المسلم أن يدعو الله صباح مساء، أن يثبته الله ﷻ وأن يرزقه العلم النافع، والهَدي، وأن يكون على استقامةٍ صادقة.

---

(١) الترمذي (٣٥٢٢).

(٢) البخاري (٦٦١٧).

(٣) الترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (١٣٦٩٦)، وابن ماجه (٣٨٣٤).

(٤) صحيح الجامع (٧٩٥٢).

## • المتن •

**قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لكن إذ أقبلت على اللّه وأصغيت إلى حُجج اللّه وبيناته فلا تخف ولا تحزن** ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء:٧٦].

## • الشرح •

وخصَّ الشيطان لأنه هو القائد والزعيم، ولا شك أن التابع دائمًا أضعف من المتبوع، فأعظمهم كيدًا هو الشيطان ووصفه الله ﷻ بأن كيده كان ضعيفًا، وهذا من باب تقوية المؤمن وعدم إخافته وإرجافه؛ فإن الأعداء الذين يتربصون بك، أعداءٌ حُججهم ضعيفة، وبيناتهم قليلة، وإنما الحُجة والقوة مع أهل التوحيد وأهل الإسلام؛ لأن الله معهم، والله غالبٌ على أمره، وجند الله وحزب الله هم الغالبون سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

## • المتن •

**قال بعد ذلك: والعامي من الموحدين يغلب الألف أو الآلاف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى:** ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات: ١٧٣]، **فجند الله هم الغالبون على ذي الحجة واللسان، كما أنهم غالبون بالسيف والسنان.**

## • الشرح •

وقد جاء في حديث معاوية بن أبي سفيان وعمران بن حصين وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: **«لا يزال طائفة على الحق ظاهرين، منصورين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله ﷻ»**[1].

فأهل الحق ظاهرين وأهل الحق منصورين، وأهل الحق غالبين حتى يأتي أمر الله ﷻ، سواءٌ بالحجة والبيان منصورون، وسواءٌ بالسيف والسِّنان هم أيضًا منصورون، ولكن الحق والباطل يدول هذا ويدول هذا مرة، ولا شك أن الغلبة لأهل الإيمان والتقوى.

أما السيف والسِّنان، وأما الحجة والبيان فهم دائمًا غالبون منتصرون، ولا يمكن لأهل الباطل أن ينتصر على الحق أبدًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، أما السيف والسِّنان: فقد ينتصر أهل الباطل وقتًا، ولكن العاقبة لأهل الإيمان والتقوى.

---

(١) صحيح الجامع (٧٢٩٠).

## • المتن •

**قال بعد ذلك: وإنما الخوف على الموحد الذي ...**

## • الشرح •

الذي هو على الإسلام والتوحيد، ويشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وهو سالك لهذا الطريق، طريق المناظرة، وطريق المجادلة، وطريق السماع للشبهات وهو بغير علم، أقول هذا؛ لأن في هذه الأزمنة وخاصة ما يتعلق بالقنوات الفضائية وما يُنشر فيها من شُبهٍ خطَّافة، ومن أقوال باطلة، يسمعها عامة الناس، ويتلقفها عامة النساء والرجال، وهم جهلة بنصوص الكتاب والسنة، فهؤلاء العامة إذا سمعوا هذه الشُبه، وهذه الأقوال رسخت في قلوبهم واستقرَّت، وما رأينا من انتشار الإلحاد وانتشار الكفر نسأل الله العافية والسلامة، والتشكيك في توحيد الله ﷻ إلا لما جلس أبناء المسلمين وبنات المسلمين لهذه القنوات التي تنشر الإلحاد والكفر في قنواتها، وتشكك الناس في إسلامها وتشكك الناس في توحيدها، حتى انتشر بين أبناء المسلمين من يتنصَّر ويتنصل من دين الإسلام، ويتهود ويتنصَّر من دين الإسلام، بل من يتنصل الأديان كلها، ويقول: أنا لا ديني، ولا أنتسب إلى دين يُقيد حريتي، هذا كله بسبب شُبه سُمعت وأقوال طُرحت، لم يكن لمن سمعها من العلم ما يدفعها، أو من القوة ما يدمغها.

فلابد لهذا الذي يُخاف عليه؛ أن يسلك هذا الطريق، طريق السماع، وطريق النظر وليس معه علم، فهذا الذي تزلُّ قدمه في هذه الشُبه، وتستقر الشُبه في قلبه وكما قيل: **"الشبه خطافة"**، وقال أبو بكر محمد بن سيرين -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عندما قال له رجل كلمة أقولها: قال ولا كلمة فقال: كلمة قال: ولا كلمة، وسد أذنيه، ثم أقسم عليه أن يخرج من بيته، فقالوا: يا أبا بكر ما يضرك كلمة؟! قال: وما يؤمنني أنها إذا وقعت أنها لا تخرج.

قد تقع هذه الشبهة، وقد تقع هذه الكلمة في قلب الموحد ثم لا يستطيع إخراجها لجهله، ولعدم علمه.

## • المتن •

**قال بعد ذلك: وقد من الله علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء، وهدى وبشرى للمسلمين فلا يأتي صاحبُ باطل بحجةٍ إلا وفي القرآن ما ينقضها، ويُبين بطلانها.**

## • الشرح •

ولكن من يدرك هذه الحجة ومن يعلمها إلا العلماء، وإلا الناظرون في كتاب الله ﷻ المتدبرون لكلامه سُبحَانَهُ وتَعَالَى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان: ٣٣]، وهذه الآية عامة في كل شيء، لا يأتون بحُجة أو بقولٍ إلا وفي القرآن ما يُبطله ويدمغه.

بل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: **"ما من مبطل يحتج به من كتاب الله إلا وفي الآية التي يحتج بها ما يُبطل قوله ويرده عليه، ولكن يحتاج إلى فهم وتدبر في كلام الله ﷻ"**.

## • المتن •

**قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، مفصل.**

## • الشرح •

ومراده بهذين الطريقين أن كل بدعة وكل باطل، وكل ضلالٍ فالجواب عليه من طريقين:

**الطريق الأول**: الرد المجمل: وهو الذي يعتمد على الاعتماد على المحكمات، وترك المتشابهات، فإن الله ﷻ أنزل كتابه، وجعله محكمًا لا متشابه فيه، وجعله متشابهًا أي يشبه بعضه بعضًا، كما قال تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[آل عمران: ٧]، فالجواب المُجمل: أن تعتمد على المحكمات.

وأنه إذا عرض لك بقولٍ لا تفهمه تقول له: لا أفهم هذا الكلام، ولا أدري ما تعني به، ولكن الذي أعلمه أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام رسوله ﷺ لا يتناقض، وكلام الله يدعو إلى تحقيق العبودية له، وكلام رسوله ﷺ يدعو إلى طاعة الله وتوحيده، وأما هذا الكلام الذي ذكرته لي، فأنا لا أفهمه، وهذا من المتشابه الذي أُمرت أن أرده إلى المحكم، وهذه القاعدة قاعدة رد المتشابه إلى المُحكم عامة في كتاب الله، وعامة في سُنة رسول الله، وعامةٌ أيضًا في كلام أهل العلم.

حتى كلام أهل العلم إذا أشبه علينا كلام الأئمة فإننا نرد متشابه كلامهم إلى محكم كلامهم، كذلك إذا كان في آيات الله ﷻ ما يتشابه علينا نرد متشابهه إلى محكمه، مثلًا عندما تقرأ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾[الزخرف: ٨٤]، فأتى محتجٌّ واحتجَّ عليك بقوله: أن الله في كل مكان في هذه الآية.

**الرد المجمل**: أن أقول له: هذه أنا لا أدري ما معناها؟ ولكن المحكم في كتاب الله ﷻ أن الله على عرشه استوى في سبع آيات من كتابه، وأنه في السماء، وأنه في العلو، بل آيات تتجاوز الألف كلها تدل على أن الله في العلو، فهذه الآية تحتمل معنىً لا أفهمه ولا أدري ما هو، ولكن هي متشابهة عندي، فأرده إلى المحكم.

هذا الآن ردٌّ مجمل، فلا يستطيع أن يحتج عليك بهذه الآية على أن الله في كل مكان، إلا إذا كنت ليس عندك قاعدةٌ محكمة في أن الله في العلو وفي السماء، فإذا رددت هذا الرد الإجمالي، يبقى الرد التفصيلي: وهو أن هذه الآية أي هو إله أهل السماء، وهو أيضًا إله أهل الأرض، هذا معناه الصحيح، وليس معناها أنه في كل مكان، لكن العامي الجاهل الذي لا يعرف معنى الآية ولا تفسيرها يرد على هذا المبطل، وعلى هذا المبتدع بقوله: أنا لا أدري ما معنى هذه الآية، ولا أفهم المراد منها، ولكن الذي أعلمه وأفهمه أن الله على العرش استوى، وأنه فوق السماوات السبع، وأنه في العلو والسماء، ولا أدري ما هذه، فأرد هذه إلى المحكمات البينة الواضحة، وأسكت، وهذا هو الرد المجمل، وهذا في كل قولٍ يقوله مبطل أو مبتدع، أو مُشبِّه أو مجسِّم أو ما شابه ذلك، نرد عليه هذا الجواب المجمل، وهو رد المتشابهات إلى المحكمات.

## • المتن •

**قال: مجمل ومفصل، أما المجمل: فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة.**

## • الشرح •

لسهولتها، ولوضوحها، ولعدم الاحتجاج لمعرفة النصوص الكثرة، وإنما الذي يلزمك تحتاجه أن تكون عندك اعتقادٌ صحيح وعقيدة سليمةٌ صحيحة، أما إذا كان اعتقادك فاسد، واعتقادك غير صحيح، فإنك وفطرتك غير سليمة، فإنك ستؤثر عليك هذه الشُبه.

## • المتن •

**قال بعد ذلك: وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم».**

## • الشرح •

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- من حديث أبي مُليكة عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- أنها قالت قال رسول الله ﷺ: **«إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله ﷻ فاحذروهم»**[1]، أي: الذين في قلوبهم زيغ، ومن علامة أهل التوحيد والتوفيق: أنه يقتصر على المحكمات، والمتشابهات يؤمن بها ولا يتعرض لها، أما إذا رأيت نفسك تتبع الشبهات، وتتبع المتشابه من كلام الله ومن كلام رسوله للنظر فيه، فاعلم أن في قلبك زيغ، وأنه يُخشى عليك أن يزيغ قلبك، وتُسلب الإيمان.

ولما جاء عبد الله صبيغ بن عسال إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وأخذ يسأله عن متشابه القرآن من الآيات، أعدَّ له عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، عراجيل فلما أحضره قال من أنت؟ قال من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ بن عسال، قال: وأنا عبد الله عمر بن الخطاب ثم نزع رأسه بالضرب جلدًا، حتى أدمى رأسه رضي الله تعالى عنه، فكان يُسأل صبيغ بعد ما فعل، ما الذي فُعل بك؟ قال: قد أذهب العبد الصالح الذي في رأسي، فأذهب الله ما في رأسي من الباطل وتتابع المتشابهات، بجلد أمير المؤمنين له رضي الله تعالى عنه.

---

(١) مسلم (٢٦٦٥).

## • المتن •

**قال بعد ذلك: مثال ذلك: إذا قال لك بعض لك بعض المشركين ألا أن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وأن الشفاعة حق، أو أن الأنبياء لهم جاهٌ عند لله، أو ذكر كلام للنبي ﷺ يستدل به على شيءٍ من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه إن الذين في قلوبهم زيغٌ يتركون المُحكم، ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم** ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ **[يونس: ١٨]، قال هذا أمرٌ محكم.**

## • الشرح •

هذه الشبهة يقول لك -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لو قال القبوري: من يرى الشرك أو يُجوِّزه الأولياء لهم جاه ولهم منزلة، ولهم شفاعة، وأنا أطلبهم وأسألهم هذه شفاعة، وأتوجه بهم عند الله ﷻ وأنت لا تستطيع أن تعرف الجواب التفصيلي.

الجواب المُجمل في الرد على هذا: ماذا نقول له؟ من يعرف كيف يُرد على هذا بردٍ مُجمل؟ الذي يقول: ألا أن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، ولهم شفاعة ولهم جاه عند الله، فأنا أطلب شفاعتهم وأطلب جاههم، وهو عامي لا يستطيع أن يعرف النصوص الدالة على إبطال هذا القول.

**الرد المجمل الآن**: أن أقول له: أما قولك: أن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، فهذا صحيح، فأولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون عند الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى؛ لولايتهم ولقربهم من الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، أما دعواك أن لهم منزلة وجاه، فنعم لهم ذلك، وأما دعواك أننا نطلب منهم الدعاء والشفاعة ونتشفع عند الله بهم في الدنيا فهذا قولٌ باطل.

**الرد الإجمالي**: لأن الله أمرنا ألا ندعو ولا نسأل إلا هو سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وأخبرنا أن دعاء المشركين في زمن النبي ﷺ كان من طلب الشفاعة من الملائكة والصالحين والأولياء فكان طلبك هذا هو نفس طلب المشركين، فأنا لا أدري ما معنى كلامك هذا؛ لكن الذي أعرفه وأعلمه أن العبادة لا تُصرف إلا لله ﷻ والشفاعة لا تكون إلا مُلكًا لله، ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤]، أي: هي مُلكٌ لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وما كان مُلكًا لله فلا يُطلب إلا من الله ﷻ.

فأنت عندما تقول: يا عبد القادر، يا فلان، يا رسول الله، اشفع لي، نقول: قد أشركت الشرك الأكبر؛ لأنك دعوت بشرًا لا يملك نفعًا ولا ضرًا، ودعوته وهذا الدعاء عبادة، وصرفه لغير الله ﷻ شركٌ أكبر، يُخرج من دائرة الإسلام.

إذًا هذا هو الجواب المجمل أن هذا خلاف التوحيد، وأن الذي كلفني الله به، أن أدعوه وحده، وأن أسأله وحده سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وأما كلامك هذا فأنا لا أفهمه، ولا أدري معناه، أي: إذا كان عاميًّا غير عالم بالنصوص وبأدلة الكتاب والسنة.

❁❁❁

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الأعداء وأوصافهم، ذكر أنهم كثيرون وأنهم أيضًا أهل حُججٍ وفصاحةٍ وبلاغةٍ، وأن الجواب معهم بل رد اعتراضهم وشبههم يكون بأمرين:

- إما أن يكون بردٍ مجمل.
- وإما أن يكون بردٍّ مفصَّل.

وبين الردَّ المجمل بقوله: هو أن يرد عليه بالمحكمات، وأن يرد المتشابه إلى المُحكم، وهذه قاعدةٌ عامة كما ذكرنا، وهذا الردُّ إنما يُعمَل مع من ينتسب إلى العلم، فإن الأعداء أيضًا منهم من ينتسب إلى العلم، وإلى الكتاب والسُّنة، ويحتج بقول الله وقول رسوله ﷺ على باطله، فهذا يدل على أن الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ابتلي بعلماء زمانه أشد البلاء.

فكان من علماء زمانه من يُكفِّره، ويستبيح دمه، ويصفه بأنه خارجي عن الإسلام، وأنه على مذهب الخوارج يُكفِّر المسلمين ويستبيح دمائهم، بل كان هؤلاء العلماء الذين في زمانه -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يزيِّنون الشرك ويُحسنونه للعامة، ويقولون: إن عملكم هذا ليس بشرك، وإنما من باب التقرب إلى الله ﷻ من باب اتخاذ الوسيلة والشفعة عند الله، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[الإسراء: ٥٧]، يقول: أنتم تبتغون إلى الله الوسائل، والمراد بالوسائل: هؤلاء الأولياء والصالحين، فكانت فتنة شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بعلماء زمانه أشد من فتنته بأمراء

زمانه وأهل وقته، بل قد نصره الأمير محمد بن سعود -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- وجاهد معه ونصره حتى أقام الله ﷻ هذه الشعيرة وهذا التوحيد، وأظهره الله ﷻ.

وأما غالب الأمراء في ذلك الزمان فكانوا محاربين له معادين له، ومعهم علماء الضلالة والشرك والفساد، بل كانوا يُزيِّنون الشرك لأهل بلدانهم ويحسنونه ويُجملونه لهم، ويصفون الشيخ محمد بأنه كما ذكرت خارجي وأنه يُكفِّر المسلمين ويستبيح دمائهم، وقد عرض عقيدته -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- على علماء مكة، وعلى علماء المدينة والحجاز فكلهم وافقه على هذه العقيدة إلا أنهم خالفوه في مسألة التكفير والقتال؛ لأنهم لم يعرفوا حقيقة التوحيد وإلا لا يفترض أحد أن يُنكر عليه مقولةً قالها أو دعوةً دعا بها.

فهو يدعو إلى توحيد الله ﷻ وإلى إفراد الله ﷻ بالعبادة، فإذا عرفنا ذلك وعرفنا أن هؤلاء الأعداء أهل حُجة وأهل بيان وفصاحة فلابد أن يكون معك من العلم ما تستطيع به أن تدفع هذه الشبه، وأن تدفع هذه الحجج، ثم أخذ الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يذكر الأمثلة في الردِّ المُجمل والردِّ المفصَّل.

فبدأ بالردِّ المجمل وهو ما ذكره هنا، ومثال ذلك: إذا قال لك: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢]، ثم استدل بهذه الآية على أن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاهٌ عند الله ﷻ أو ذكر كلام النبي ﷺ في التوسل بدعائه، أو التوسل بجاهه ﷺ، فيقول العامي: والذي لا يُحسن الأدلة ولا يعرف حقيقتها ولا يعرف معناها، يقول: أنا لا أفهم هذا الكلام، وإنما الذي أفهمه أن دعوة الرسل جميعًا كانت لتحقيق توحيد الله ﷻ، وأن يُعبد الله وحده، وأن لا يُشرك به شيئًا، وكلام الله لا يتناقض، فلا يأمر هنا بالتوحيد، ويأمر في غيرها بالشرك وجواز الإشراك به، بل كلامه واحدٌ غير متناقض سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

وأعلم أيضًا أن الذين كفَّرهم الله ﷻ وكفَّرهم رسوله ﷺ كانوا يُقرُّون أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، المحيي، المميت، وكانوا يرون أن الملائكة شُفعاء لهم عند الله، وكذلك اللات والعُزى، وكفَّرهم الله ﷻ، فالذي أعرفه وأعلمه أن العبادة لا تكون إلا لله ﷻ، وأما دعواك أن لهم جاه وشفاعة فهذه لا أدري ما معناها، لكن الذي أعقله وأعرفه أن العبادة لا تطلب إلا من الله ﷻ، هذا هو الجواب المُجمل، وهذا يستطيعه أي أحد من عوامِّ المسلمين ليُحقق وأن يرد بهذا القول.

## المتن

**قال أيضًا: "وأما الجواب المفصل": قال بعد ذلك: "هذا أمر محكمٌ بيِّنٌ لا يقدر أحدٌ أن يُغير معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن وكلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ﷻ وهذا جوابٌ سديدٌ جيد.**

## الشرح

كما ذكره فهو الجواب المجمل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

## المتن

**قال بعد ذلك: وأما الجواب المفصل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه منها قولهم: نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا -عليه السلام- لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله فجاوبه.**

## الشرح

وأما الجواب المفصَّل: **"فإن أعداء الله لهم اعتراضات، وعلى دين الرسل اعتراضاتٌ كثيرة"** يصدُّون بها عن دين الرسل وعن دين محمد ﷺ و**"على دين الرسل يصدون بها الناس عنه"**، **"منها"** أول شُبههم وأول الشُبه في هذا الكتاب: **"هي قولهم نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه"** هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، إذًا ما هي الشُبهة الآن؟

الشُبهة أنهم قصروا الشرك على أي شيء؟ على الاعتقاد، وعلى شرك الربوبية قصروا الشرك على أن المشرك لا يكون مشركًا إلا إذا اعتقد أن من يدعوه ويرجوه ويسأله يملك النفع ويملك الضر، ويجلب النفع وما شابه ذلك، هذه هي أول شُبهة.

والجواب عليها، الجواب على المفصل مما يلي:

**أولًا**: أن الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى أخبر عن كفار قريش وعن مشركي العرب أنهم كانوا يُقرون بأن الله هوا لخالق الرازق المحيي المميت كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[لقمان: ٢٥]، فهم يُقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، النافع الضار، وسمَّاهم الله كفارًا ومشركين؛ لأنهم سألوا الأولياء والصالحين مع عدم اعتقادهم أنهم ينفعون ويضرون استقلالًا، وإنما كان دعاؤهم وسؤالهم إياه من باب قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣]، فيقولون هنا: نحن لا نُشرك بالله، بل نشهد، هذه دعوى المبطل، أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عن عبد القادر الجيلاني أو غيره، ولكن أنا مذنبٌ والصالحون لهم جاهٌ عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجواب ما تقدم، الجواب على الشُبه من وجوه:

**الوجه الأول**: حتى تتضح الجواب على هذه الشبه بالوجوه.

**الوجه الأول**: أن كفار قريش كانوا يُقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، المحيي، المميت.

**الوجه الثاني**: أنهم كانوا لا يعتقدون فيما يدعونه من اللات والعزى ومناة أنها تنفع أو تضر استقلالًا، وإنما هي عندهم بمنزلة الوجهاء والشُفعاء والوسطاء، هذا الجواب الثاني.

**الوجه الثالث أيضًا**: أن الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى كفَّرهم وحكم عليهم بالشرك، وأمر رسوله ﷺ بقتالهم واستباحة دمائهم؛ لأنهم أشركوا بالله ﷻ بصرف العبادة والدعاء لغيره سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

**والوجه الرابع**: أن اعتقادكم هذا لا يُغني عنكم شيئًا؛ لأن العبرة بما صرفتموه من العبادة لغير الله ﷻ، والعبرة بالحقائق لا بالمباني والألفاظ، بل بالمعاني، فهنا معنى عملكم هذا ومعنى فعلكم هذا وحقيقته: أنكم عبدتم غير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، واتلُ عليه الآيات التي تلاها الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- مثل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف: ٨٧]، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١] ... الآيات الكثيرة الدالة على أن الله هو الخالق الرازق سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

## • المتن •

**فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت في من يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟.**

## • الشرح •

**"فإن قال": هذه الشبهة الثانية، إنما الشبهة الأولى**: أنهم قالوا: إن الشرك لا يكون إلا في الاعتقاد، ونحن نقرُّ بتوحيد الربوبية، وأما مشركو العرب فكان لا يقرون بتوحيد الربوبية، فرُدَّ عليه بما ذكرنا.

**الشبهة الثانية قولهم**: إن هذه الآيات وهؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآيات هم يشركون بأصنام وأحجار وأشجار، فكيف تشبهون الأصنام والأحجار والأشجار بعيسى عليه السلام؟ أو بمحمد ﷺ؟ أو بالصالحين من عباد الله كعبد القادر الجيلاني ومن شابهه من الصالحين؟

**الجواب على هذه الشُبهة**: فقل له: أن الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى كفَّر النصارى مع أنهم يعبدون من؟ عيسى عليه السلام، وكفَّر بعض مشركي العرب مع أنهم كانوا يعبدون من؟ اللات، واللات هذا: رجلٌ صالح كان يلت السويق لأهل مكة، وكفَّر الله قوم نوح، مع أنهم كانوا يدعون ودًا وسواعًا، ويغوث، ويعوق، ونسرًا، وهم أُناسٌ صالحين كانوا يعبدونهم من دون الله ﷻ، وكفَّر الله من عبد الحجر والشجر، وكفَّر الله من عبد كل شيء سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

إذًا أنتم تقولون: فكيف تشبهوننا بمن يعبد الأصنام والأحجار، بمن يعبد الأولياء؟

نقول: الله كفَّر من عبد المسيح، ومن عبد عُزيرًا، ومن عبد محمدًا ﷺ، ومن عبد أي معبودٍ كان ذلك المعبود فإنه يُكفَّر، هذا الجواب الأول، إذًا لا فرق بينكم وبين من كفَّرهم الله ورسوله في زمن النبي ﷺ.

**الجواب الثاني أيضًا على هذه الشُبهة**: أن العبرة بصرف العبادة لا بنوع المعبود؛ لأن الله يقول: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨]، والله يقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦]، فالله نهانا أن نشرك به شيئًا، ونهانا سُبحَانَهُ وتَعَالَى أن ندعو معه أحدًا، وشيء واحد نكرات في سياق النفي أو في سياق النهي أفادت العموم، والقاعدة: **"أن النكرة إذا جاءت في سياق النهي تفيد العموم"**، وشيء كما ذكرنا سابقًا: هو كل ما يصلح أن يُعلم أو يؤول إلى العلم.

فالولي شيء، والملك شيء، والصالح شيء، والرسول شيء، والحجر شيء، وكل ما في هذا الكون يسمى شيء، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦]، فإذا عبدت حجرًا أو شجرًا أو وليًّا أو صالحًا أو صرفت له عبادة، فإنك تكون قد أشركت بالله ﷻ ولا فرق بين أن تشرك بحجر، وبين أن تشرك برجلٍ صالح، لا فرق بين من يعبد بين من يدعو محمدًا ﷺ وجبريل عليه السلام، وبين من يدعو أفجر الخلق وأكفر الخلق؛ لأنهم يشتركون جميعًا بأنهم أشركوا بالله ﷻ، فالله نهانا أن نُشرك به أو أن ندعو غيره.

**الجواب الثالث على هذه الشُبهة**: أن هذا الفعل منكم هو الشرك بالله ﷻ هو الشرك بالله ﷻ؛ لأن العبادة لا يستحقها إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، والعبادة: أصلها من الذل والخضوع، فكل من خضعت له، وذَللت له على وجه التعظيم فإنك عابدٌ له، وكما قيل: (وتركتني كالبعير المعبَّد) أي الذليل الخاضع، فالعبد أصله من الذل والخضوع.

وأما في الاصطلاح: فهي ما أمر به الشارع ورتَّب الثواب عليه فإنه يسمى عبادة، وأحسن من فسَّرها وعرِّفها قول شيخ الإسلام ابن تيمية: أن العبادة اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وفي تعريف آخر: هو ما أمر به الشارع من غير اقتضاء عقلي ولا افتراض عرفي، هذا هو العبادة، فإذا صرفت أي نوع من العبادة لغير الله فإنك تكون مشركًا الشرك الأكبر خارجًا من دائرة الإسلام.

فمن دعا صنمًا أو دعا وليًّا هو مشرك بالله لدعائه الصنم، وهو مشركٌ بالله بدعائه الرسول، إذًا قولهم أنكم تُشبِّهون بمن يعبد الأصنام، بل نقول كما قال شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب في «قواعده الأربع»: "أن مشركي العرب كانوا أخفَّ شركًا من جهتين:

- من جهة الكم.
- ومن جهة الكيف.

من جهة الكم: أن مشركي العرب كانوا يشركون في وقت الرخاء دون الشدة، فإذا كان الشدة أخلصوا لله ﷻ، وإذا كان في الرخاء أشركوا بالله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

أما من جهة الكيف: فمشركو العرب كانوا يُشركون بأولياء وصالحين، ويشركون بأحجارٍ وأشجار.

أما مشركو زماننا فيشركون بالفجرة والفسقة والكفرة -نسأل الله العافية والسلامة- فأصبح كفار قريش أخفَّ شرك وكفر من مشركي زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكلاهما يوصف بأنه مشرك، وأنه خارج من دائرة الإسلام؛ لأنه عبد غير الله، وصرف العبادة لغير الله ﷻ .

أقف على هذه الشُبهة، والله أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

## • المتن •

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: **فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يُعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى اللّه كما ظنَّ المشركون.**

## • الشرح •

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ذكر شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- الشبهة الثانية وهي من الشُبه العظيمة عند القبوريين وعند المشركين، وهي قولهم: "**أن الآيات التي ذكر الله ﷻ كفر المشركين وإشراكهم، إنما هي في من عبد الأصنام والأحجار والأشجار، وليس هي في من دعا الأولياء والصالحين و الأنبياء**"، وهذه الشُبهة يُرددها أصحابها، وأول من ذكر هذه الشُبهة أصحاب إخوان الصفا في رسائلهم، "**فإنهم ذكروا أن الأرواح لها تأثير في الدنيا، وإذا خرجت من أجسادها، بل إن تأثيرها بعد خروجها من أجسادها أعظم من تأثيرها حال وجودها في أجسادها**"، وهم فلاسفة كفارٌ ويرون "**أن الأرواح تؤثر وأن لها تأثير على من يزورها وعلى من يقرب منها ولو كانت مفارقةً للجسد**".

فهذا أول من أثار هذه الشُبهة، وقصر أن عبادة وأن الشرك هو متعلق باعتقاد النفع والضر في غير الله ﷻ، وأن الأصنام والأحجار والأشجار هي التي يُسمى عابدها مشرك، ويسمى عابدها كافرٌ بالله ﷻ، وأما الذي يتعلق بالأرواح سواء أرواح الملائكة، أو أرواح بني آدم، أو أي شيءٍ له روح، فإنه لا يُسمى مشركًا ولا كافرًا، وما زال أتباعهم وأصحابهم يُرددون هذه الشُبهة على أهل السُنة والجماعة، وعلى أهل التوحيد.

وهذه الشُبهة ذكرها شيخ الإسلام؛ لأنه ابتُلي في زمانه بمن يقول: كيف تشبهوننا بمن يعبد الأصنام والأحجار والأشجار؟ وهم يعتقدون فيهم النفع والضر، ونحن إن سألنا أو دعونا فإنما ندعو أولياء وصالحين لهم جاهٌ ومنزلة عند الله ﷻ فلا يستوي من عبد صنمًا، ومن عبد رسولًا ووليًّا، هذه شبهتهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: **"فجاوبه بما تقدم"** فإنه إذا أقرَّ، الجواب بما تقدم ذكره في الشُبهة الأولى: وهي أن كفار قريش ومشركي العرب كانوا يعتقدون أن هذه الحجار وهذه الأشجار لا تستقل بالنفع، ولا تستقل بدفع الضر ولا بجلبه، وإنما هي بمنزلة الوسائط، بمنزلة الشُفعاء والوجهاء، وإنما النافع الضار هو الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى كما ذكر ذلك عنهم ربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى في قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[لقمان: ٢٥]، فهم يقرُّون بتوحيد الربوبية.

**وثانيًا**: أن مشركي العرب وكفار قريش إنما عبدوا هذه الأصنام على هيئة الصور، فصوروا للملائكة صورًا يعبدونها من دون الله ﷻ.

فكل هذه الأصنام التي يعبدونها هي عبارة عن صور للملائكة أو للشياطين أو للجن، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[سبأ: ٤١]، فحقيقة الأصنام أنها عبارة عن صورٍ لآلهة يدَّعونها كالملائكة أو الجن أو الشياطين، وكانت العُزَّى شجرةٌ تُعبد من دون الله ﷻ، وكانوا يُخاطبونها ويسألونها وترد عليهم، وكانت امرأةٌ جنيةٌ تخرج عليهم ثائرة الرأس، إذا خاطبوها ونادوها أجابتهم وسمعت سؤالهم وخطابهم، وأجابتهم إلى ما يسألون ويطلبون، بفعل الشياطين لعنهم الله.

وكذلك الأصنام التي كان يعبدها المشركون كان يُخالطها شياطين يسمعون أصواتهم ويُجيبون سؤالهم، ويُخاطبونهم بل قد يستجيبون لهم في بعض ما يطلبونه، ولو سلَّمنا أنها أحجارًا وأشجارًا وأصنامًا لا حراك لها ولا سماع لها ولا صوت لها، فإن الشرك ليس بنوع المُشرَك به، وإنما الشرك: هو أن تصرف العبادة لغير الله ﷻ فعندما تعبد وليًّا أو حجرًا أو شجرًا، أو وثنًا، أو أي شيءٍ فإنك عندما تصرف العبادة له، تكون قد أشركت بالله ﷻ وخرجت من دائرة الإسلام بهذا الفعل.

فدعواكم وقولكم: أنكم تدعون أولياء وصالحين، وأن كفار قريش ومشركي العرب كانوا يدعون أصنامًا فهذه دعوى باطلة.

**الجواب الأول إذًا**: أنهم كانوا يُقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق المُحيي المميت.

**والجواب الثاني أيضًا**: أن مشركي العرب كانوا يصرفون لهم العبادة ويدعونهم ويرجونهم ويسألونهم كما كان يفعل مشركي زمان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فكانوا يدعون الأولياء، والصالحين، ويسألونهم كما يفعله المشركون مع الأصنام.

**وثالثًا أيضًا**: أن العبرة بصرف العبادة لا بنوع المعبود.

**ورابعًا أيضًا**: أن مشركي العرب وقريش كان منهم من يعبد اللَّات: وهو رجل صالحٌ كان يلتُّ السَّويق، وكان منهم من يعبد الملائكة، وكان منهم من يعبد عيسى عليه السلام، وكان منهم من يعبد غير ذلك من أولياء الله والصالحين، ومع ذلك كفَّرهم الله ﷻ أجمعين، ولم يستثن من عبد وليًّا عن من عبد صنمًا أو حجرًا أو شجرًا، بل كلهم أخبر الله ﷻ أنهم كفارٌ مشركون، وقاتلهم الرسول ﷺ ولم يفرق بين من عبد شجرةً أو عبد وليًا وصالحًا.

## • المتن •

قال بعد ذلك في الجواب المفصل: **وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يُفرق بين فعلهم وبين فعله.**

## • الشرح •

وهذا هو الجوب الخامس، أن ما يُفعل ويُطلب من الأصنام والأحجار إنما هو سؤالهم بجلب نفعٍ، أو بدفع ضُرٍ، أو بكشف بلاءٍ، وهذث هي العبادة التي لا تليق ولا تختص إلا بالله ﷻ، وأنتم يا من دعوتم الأولياء ما تفعلونه هو نفس ما يُفعل عن الأصنام والأحجار، وهذه هي العبادة التي لا يستحقها إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

## • المتن •

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: **فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم:** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[الإسراء: ٥٧].

## • الشرح •

أي أن احتجاج المؤلف بهذه الآية؛ ليُبين أن مشركي العرب ومشركي قريش كانوا يدعون أُناسًا هم يتقربون إلى الله، وهم يعبدون الله ﷻ وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت في من كان يعبد الجن وهو كافر، وكان الجن مشركون بالله كافرون بالله ﷻ فأسلم الجن، وآمنوا بالله ﷻ وما زال المشركون على عبادتهم، وعلى كفرهم بهم، فلما تاب أولئك الجن أنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾[الإسراء: ٥٧].

أي: يا من تدعونهم أيها المشركون هم أيضًا مثلكم عبادٌ يبتغون ويتقربون إلى الله ﷻ بالأعمال الصالحة، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[الإسراء: ٥٧]، وقد احتجَّ القبوريون في هذه الآية باحتجاجٍ لم يُسبق إليه من أحدٍ من أهل التفسير، فقالوا: إن تفسير هذه الآية: أن دعاء الصالحين، هو من باب اتخاذ الوسائل التي تقرب إلى الله ﷻ وهذا التفسير لا يُعرف عن أحد من سلفنا الصالح، ولا من علماء التفسير المعتبرين، وإنما هو تفسير مبتدَعٌ باطل ضال، يدعو إلى الشرك بالله نسأل الله العافية والسلامة.

ثم بيَّن أن منهم من يدعو عيسى عليه السلام وهو نبيٌّ من أنبياء الله، ورسولٌ من رُسل الله ﷻ، ثم ذكر الدليل على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٧٥ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[المائدة: ٧٥، ٧٦]، وهذا هو حال كل معبود سوى الله ﷻ أنه لا يملك نفعًا ولا ضرًا.

إذًا هذه الشُبهة جوابها من هذه الأوجه الخمسة التي ذكرناها، ثم أخذ يسوق الأدلة على إبطال قولهم ودعواتهم وهو إثبات أن مشركي العرب لم يكن كلهم على عبادة واحدة من جهة الأولياء والصالحين، بل كانوا متفاوتين متفرقين في عبادتهم:

- منهم من يعبد الأولياء.
- ومنهم من يعبد الصالحين.
- ومنهم من يعبد الجن.
- ومنهم من يعبد الملائكة.
- ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار.

وكلهم قد كفَّرهم الله ﷻ، وأن عبادتهم إياهم ليس بمقصد أنهم ينفعون ويضرون، وأنهم يعتقدون فيهم التصرف في هذا الكون، وإنما كان دعاؤهم على وجه أنهم وسطاء وشُفعاء، ووجهاء يقربونهم إلى الله ﷻ.

## • المتن •

الشُبهة الثالثة التي ذكرها: وهي قوله: **فإن قال الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن اللّه هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم وأرجو من اللّه شفاعتهم.**

## • الشرح •

وهذه شبهة ثالثة وهي دعواه أنه إذا سأل الصالحين، أو سأل الأولياء، أو سأل الرسل والأنبياء، فإن سؤاله إياهم لا بقصد أنهم ينفعون أو يضرون، أو أنهم يملكون النفع والضر، أو أني أريد ذلك منهم استقلالًا.

نقول: هذه الشُبهة هي شبةٌ باطلة، وحجتها داحضة، وليس لهم فيها متعلق، بل حتى كفار قريش، وحتى مشركي العرب الذين كفَّرهم الله ﷻ وحكم عليهم بكفرهم، واستباح الرسول ﷺ دمائهم، وأموالهم، وقاتلهم، وشُرع الجهاد لأجل مقاتلتهم، كانوا أيضًا على هذا المعتقد، كما ذكر الله ذلك عنهم، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣].

فكفار قريش عندما سألوا اللات وعندما سألوا العُزَّى، ومناة، لم يكونوا يعتقدون فيها أنها تنفع وتضر استقلالًا، أو أنهم يطلبون ذلك منهم ابتداءً، وإنما يسألونها ويرجونها بزعم أنها تقرب دعاءهم وترفع دعاءهم إلى الله ﷻ فيستجيب الله دعاءها؛ لأنها أقرب وأنها ذات جاهٍ ومنزلةٍ عند الله ﷻ، وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب هو ما ذكره المقريزي -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- في أن شرك العرب وقع من جهة تشبيه الخالق بالمخلوق.

حيث ظنُّوا أن الخالق لا يُمكن أن يُصار إليه ولا يمكن أن يُدعى إلا إذا كان بينه وبين الداعي واسطة تقرِّب الداعي إلى الله ﷻ كما هو حال الملوك والوزراء والعظماء أنه لا يوصل إليهم إلا من باب الحُجَّاب، ومن باب الوزراء ومن باب الحُرَّاس، فهم الذين يوصلون دعاء الناس وسؤال الناس وخطابهم إلى الملوك، فظن هؤلاء الجهلة أن الله بهذه المنزلة أنه لا يوصل إليه ولا يسمع الدعاء إلا إذا كان هناك من يوصله.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا المعتقد ينبني عليه اعتقادات فاسدة لا تخلو من هذه المعتقدات.

**أولها**: أن من اعتقد هذا الاعتقاد فإنه يصف الله بالجهل، حيث أن الله يحتاج من يُبلِّغه أحوال الخلق، ومن يُبلِّغه أحوال الناس؛ ليستجيب دعائهم وليسمع أحوالهم، فالله جاهل بهذا المعنى؛ لأنه لا يُمكن أن يعرف أحوال الناس إلا إذا كان هناك أولياء وصالحون يرفعون دعاء الناس إلى الله

**أيضًا الأمر الثاني**: مما ينبني على هذا الاعتقاد أن الله عاجز أن يُدير الخلق ويُدبرهم، وأنه يحتاج إلى من يُعينه على تدبير الخلق أو إيصال الحق إلى الخلق، أو إيصال النفع إلى الخلق، وهذا أيضًا باطل، وهذا كفرٌ مستقل.

**وثالثًا**: أن الله محتاجٌ لغيره، والله له الكمال المطلق، من جهة قدرته ومن جهة قوته، ومن جهة غناه، ومن جهة كماله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، فالذي يجعل بينه وبين الله وسائط لا يخرج من هذه الحالات الثلاث:

- إما أن يصف بالجهل.
- أو يصف الله بالعجز.
- أو يصف الله ﷻ بالحاجة والضعف، وأنه محتاجٌ إلى غيره.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾[البقرة: ١٨٦].

وقد جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ لم رفع أصحابه أصواتهم بالدعاء قال: **«أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه أقرب إليكم من أعناق رواحلكم»**[1]، أي أن الله قريبٌ سُبحَانَهُ وتَعَالَى يسمع ويُبصر ويرى سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

إذًا هذه الشبهة قولهم: **"لا أريد إلا منه"** نقول: هي دعوى كفار قريش، وهي دعوى مشركي العرب، والعبرة بدعائك وسؤالك غير الله ﷻ وصرف هذه العبادة لغير الله ﷻ هو الشرك الأكبر المخرج من دائرة الإسلام، فعندما تقف عند ذلك الولي، وتقول: يا عبد القادر اشفِ مريضي، وإن كنت تعتقد أن الشافي هو الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وأن عبد القادر إنما هو وسيط وشفيع عند الله، نقول: أشركت بالله بإجماع المسلمين، وكفرت بالله وخرجت من دائرة الإسلام.

---

(١) البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٥٠٠٢).

## • المتن •

يقول: **فالجواب أن هذا هو قول الكفار سواءً بسواء، واقرأ عليهم قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣]، **وقوله تعالى:** ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس: ١٨]، **واعلم أن هذه الشُبه الثلاث هي ...**

## • الشرح •

أعظم ما يتعلق به القبوريون، وأعظم ما يتعلق به المشركون، وكل شبهةٍ بعد هذه الشُبه الثلاث تعود إلى هذه الشُبه، وهذه الشُبهة هي أولهم:

**قولهم أولًا**: أنا لا نعتقد بالنفع والضر، وأن النافع الضار هو الله.

**والشبهة الثانية**: أن هؤلاء أصنام، وهؤلاء أولياء وصالحين.

**والثالثة**: أننا نطلب بهم وليس نطلب منهم.

والحقيقة في هذه الشُبه: أنها هي التقرب إلى الصالحين، ودعاء الصالحين، وسؤالهم من دون الله ﷻ وهو الشرك الأكبر المخرج من دائرة الإسلام.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه، وفهمتها فما بعدها أيسر منها.**

### الفصل الثامن

### الرد على من زعم أن الدعاء ليس بعبادة، فإن قال: أن لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة، فقل له: أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله، فإذا قال: نعم، فقل له: بيِّن هذا الذي فرضه الله عليك.

## • الشرح •

هذه الشُبهة إذا قال المشرك: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الذي أفعل من دعاء الصالحين، والتوسل بهم، والالتجاء إليهم، هو التجاءٌ وطلب شفاعة وليس عبادة، نقول له: نتنزل مع هذا الجاهل فنقول له: فسِّر لي العبادة، وأخبرني ما هي العبادة، وهذا أسلوبٌ رفيع من شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- حيث أنه نزل مع الخصم منزلة الجاهل، المتعلم، الطالب للعلم، من هذا الجاهل.

فقال: أخبرني ما هي العبادة التي فرضها الله عليك، وأمرك الله ﷻ بها حتى أتعلم منك، فإن كان لا يعرف العبادة ولا يعرف أنواعها، وأقرَّ لك بالجهل، انتقل معك من العالِم إلى الجاهل، وأصبح منك طالبًا أن تعلمه وأن ترفع الجهل عنه، وهذه من أحسن الطرق في مخاصمة الجُهَّال، وفي مجاهدة أهل الباطل أن تتنزل معه في دعواه، وأن تتنزل معه في أدلته، فتقلبها عليه بعد أن يستدل بها.

فقل له: أخبرني ما هي العبادة التي افترضها الله ﷻ علينا؟ فإذا قال: لا أعرفها، فقل: كيف تصف نفسك بشيء وأنت لا تعرفه؟ وكيف تنفي عن نفسك شيئًا وأنت تجهله، فلا شك أن هذا من أعظم البلاء بالعبد أن يُبرِّئ نفسه من شيءٍ لا يعرفه، وأن يُثبت لنفسه شيئًا لا يعلمه، فهذا هو التعالم، وهذا هو الجهل المركب نسأل الله العافية والسلامة.

وهذه الطريقة أحسن من طريقة الإنكار بشدة والغلظة عليه، فإن ذلك قد يحمله على الإباء والاستكبار، وعلى أن تأخذه العزة بالإثم، فيُكابر ويمتنع وينتقل من طلب الحق إلى المعاندة، فالشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- نزل مع هذا المعاند ومع هذا المشرك منزلة الجاهل حتى يُقرَّ بجهله، وحتى يُقرَّ بعدم علمه.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فأخبرني ما هو الذي افترضه الله ﷻ عليك؟ وهو الإخلاص لله، وهو حقه عليك، فإنه لا يعرف العبادة ولا يعرف أنواعها.

ذكرنا أن العبادة أصلها: الذلُ والخضوع، وأما من جهة الشرع، فهي كل ما أمر الله به، وأمر به رسوله ﷺ ورتَّب عليه ثوابًا، فإنه يُسمى عبادة، وما أحسن ما عرَّفه شيخ الإسلام بقوله: العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فكلُّ فعلٍ وكلُ عملٍ سواءٌ كان قلبيًا أو فعليًا من الجوارح واللسان والله يحبه ويرضاه فإنه عبادةٌ تُصرَف لله ﷻ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة: ٥].

وقوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر: ٣]، فهذه الآيات وما شابهها، والقرآن مليء بإثبات العبادة لله وحده، وأنه لا يُعبد إلا الله ﷻ.

وأنواع العبادة كثيرة كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]، فأخبر الله ﷻ أن الدعاء عبادة، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر: ٢]، فكل هذا يدخل في مُسمى العبادة، وعامة ما يفعله المشركون عند الأولياء والصالحين هو الدعاء والذبح، والسؤال، والطلب، وهذا هو العبادة التي لا يستحقها إلا الله ﷻ.

فعندما ترجو وليًّا أو تخافه، أو تتوكل عليه، أو تعتمد عليه، أو تُفوِّض أمرك إليه، فهذا كله عبادة لا يستحقها إلا الله ﷻ، فتنتقل معه بعد أن يُثبت جهله وأنه جاهلًا بأنواع العبادة تنتقل معه إلى التبيين والتعميم، فتخبره بمعنى العبادة الصحيح، وتخبره بأنواعها، ثم تنقله بعد ذلك الذي يفعله المشركون عند الأصنام، والأنداد، والأوثان والملائكة، ومن يُعبَدون من دون الله ﷻ، أليس هذا هو العبادة التي كانوا يعبدونها، أليس كانوا يدعون الملائكة أن ينفعوهم ويضروهم، ويدعون اللات والعُزَّى، ويسألونها ويذبحون لها ويتقربون إليها، حتمًا سيقول: نعم، فقل له أيضًا: هذا الذي يُفعل عند قبر عبد القادر الجيلاني، وعند قبر البدوي، وعند قبر الدسوقي، وعند قبر محمدٍ ﷺ أنهم يأتونه ﷺ ويسألونه ويرجونه ويطلبون منه النفع والضر، وكشف الأمراض، وزيادة الأرزاق، وهذا كله شركٌ أكبر مخرجٌ من دائرة الإسلام.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال اللّه تعالى:** ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف: ٥٥]، **فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عن عبادة للّه؟ فلابد أن يقول نعم؛ لأن اللّه أخبر أن الدعاء عبادة، وأن سؤال الأموات هو من الدعاء، فلابد أن يقول: نعم، والدعاء مخُّ العبادة.**

## • الشرح •

وهذا الذي ذكره الشيخ هو حديثٌ رواه الترمذي، من حديث ابن لهيعة عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبَّان، عن أنس بن مالك، وإسناده ضعيف، وقد جاء الحديث من طريق الأعمش عن ذرٍّ، عن لُسَيع الحضرمي، عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه، أنه قال: «**الدعاء هو العبادة**»[1]، وهذا بالإجماع أن الدعاء عبادة، وأن صرفه لغير الله شركٌ أكبر يُخرج من دائرة الإسلام.

---

([1]) أخرجه أبو داوود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

## • المتن •

قال بعد ذلك: **فقل له: إذا أقررت أنها عبادة ودعوت اللّه ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره، هل أشركت في عبادة اللّه غيره؟ فلابد أن يقول: نعم، فقل له فإذا عملت بقول اللّه تعالى:** ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر: ٢]، **وأطعت اللّه، ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلابد أن يقول نعم، فقل له: فإن نحرت لمخلوقٍ نبي أو جنيّ أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير اللّه؟ فلابد أن يقر ويقول نعم.**

## • الشرح •

فقل له: هذا هو الشِرك، إذًا وضَّح الشيخ أولًا معنى العبادة، ووضح أنواعها، ووضح ما يفعله المشركون الأوائل، عند اللات والعزى ومناة في دعائهم وسؤالهم والذبح لهم، ثم قرره بهذا الشرك وعرَّفه إياه، ثم نقله بعد ذلك إلى حال الزمان، وأنهم أيضًا يأتون إلى قبر عبد القادر الجيلاني ويدعونه ويرجونه ويذبحون له، ويسألونه، إذًا النتيجة أن أولئك مشركون، وأن هؤلاء مشركون، وأنهم كفَّار بخبر الله ﷻ وخبر رسوله ﷺ.

## • المتن •

**وقل له أيضًا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحون، واللات وغير ذلك فلابد أن يقول: نعم.**

## • الشرح •

أي هذا جوابٌ آخر على هذه الشبه أن تقول له: أخبرني ما هو فعل المشركين في زمن النبي ﷺ مع الملائكة، والصالحين، والأولياء، فيقول: إنهم كانوا يعبدونهم، لابد أن يُقر أن كُفر كفار قريش، وأن الله أخبر أنهم مشركين؛ لأنهم كانوا يعبدون الملائكة والصالحين، والأحجار، والأشجار، لابد أن يقول ذلك؛ لأن الله أخبر بكفرهم، وأخبر بشركهم، وأخبر أنهم يدعون الملائكة.

وأنهم يدعون الأولياء، وأنهم يدعون الصالحين، فيقول: لابد أن يقول نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم أنهم كانوا يعتقدون فيهم أنهم ينفعون أو يضرون؟ هل كانوا يعتقدون ذلك؟ فلابد أن يقول: لا؛ لأن الله أخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣]، وأنهم يقرُّون بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، النافع الضار، وإنما عبادتهم من كونهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣].

وإلا فهم يُقرُّون أنهم عبيده وتحت قهره وأن الله هو الذي يُدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهرٌ جدًّا، انتهت الشُبهة.

**الشُبهة الخامسة**: وهي أيضًا مفرعةٌ عن الشُبه التي قبلها، وهي قوله: **"فإن قال"**: أتنكر شفاعة الأنبياء؟ **"أتنكر شفاعة النبي ﷺ وتتبرأ منها"**، وهذه أراد بها أن يصفه بمذهب الخوارج، أراد هذا المُجادل، وهذا المُعاند، أن يصف الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ومن يدعو إلى التوحيد أنه من أهل الاعتزال والخوارج، الذين ينكرون الشفاعة، والذين يُكفِّرون المسلمين ويحكمون عليهم بالردة،

## • المتن •

**الفصل التاسع: الفرق بين الشفاعة الشرعية والشركية.**

**فإن قال: أتنكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتتبرأ منها؟ فقل: لا أنكرها، ولا أتبرأ منها، بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله.**

## • الشرح •

هذه الشبهة، وهي شُبهة أن دعائهم للأولياء والصالحين والرسل والأنبياء، هو من باب، طلب شفاعتهم، فهذه هي أعظم شُبه القوم، وهي تعود إلى الشُبه الثلاث السابقة التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

**أولًا**: مسألة لشفاعة.

الشفاعة جاءت في كتاب الله ﷻ على نوعين:

- شفاعة منفية في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدثر: ٤٨].

- وشفاعةٌ مثبتة: وأثبتها الله ﷻ في كتابه، وأثبتها رسوله ﷺ، وهذه الشفاعة المثبتة جاءت في كتاب الله في قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء: ٢٨]، وكما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة: ٢٥٥]، إذًا الشفاعة التي أثبتها الله ﷻ قيدها بشرطين:

- شرط الإذن بالشافع.

- والشرط الآخر الرضا عن المشفوع.

الإذن الكوني، والإذن الشرعي، أي الإذن للشافع أن يشفع، والرضا عن المشفوع أن يُشفع له، هذه هي الشفاعة المثبتة، وأهل السُنة يثبتون شفاعة الرسل، وشفاعة الصالحين، وشفاعة الأولياء، وشفاعة الملائكة، وشفاعة الأفراد والشهداء، ولكن هذه الشفاعة لها ضوابط عند أهل السُّنة، والنبي ﷺ خصَّه الله ﷻ بشفاعات ثلاثٍ خاصة به.

خصَّه بثلاث شفاعات لا يُشاركه فيها غيره ﷺ:

- **أول هذه الشفاعات التي خصَّه الله بها**: شفاعته للفصل بين العباد يوم القضاء، وهو المقام المحمود الذي يحمده عليه جميع الخلائق ﷺ يوم يبعثه ربه مقامًا محمودًا يحمده الخلائق عندما يفزع الخلائق إلى الأنبياء والرسل فيأتون آدم، ثم يأتون إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، إلى أن يأتوا محمد ﷺ فيقولون: يا محمد! يا رسول الله! ألا ترى ما نحن فيه، ألا تشفع لنا؟

فيقول: «**أنا لها، أنا لها، فينطلق إلى ربه سُبحَانَهُ وتَعَالَى فيخرُّ ساجدًا قدر سبت، ثم يقول الله له: يا محمد ارفع رأسك، وسل تُعط، واشفع تُشفَّع، فيُشفعه الله ﷻ في الخلائق أجمعين**»[1] حتى الكفرة وحتى المؤمنين، يُشفعهم الله ﷻ؛ ليفصل بينهم في القضاء، وهذه لشفاعة العامة لجميع الخلق، وهي خاصة برسولنا ﷺ.

**الشفاعة الثانية**: وهي خاصة به ﷺ عندما يُحبس أهل الجنة على أبواب الجنة، ولا يدخلونها حتى يأتوا الأنبياء، فيقولون: يا رسول الله اشفع لنا، فينطلق إلى ربه فيُخبره بذلك، فيُشفعه الله ﷻ فيفتح أبواب الجنة، ولا تفتح أبواب الجنة إلا لمحمد ﷺ فهو أول من يدخلها ﷺ.

**الشفاعة الثالثة**: وهي خاصَّةٌ به أيضًا، شفاعته لعمه أبي طالب، وهذه الشفاعة خاصة برسول الله، وخاصة بأبي طالب، فلا يُشفَع لكافر غيره، ودليل ذلك حديث العباس وحديث أبي سعيد الخُدري، والنعمان بن بشير في الصحيح أنه قال العباس: يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوط عنك، وكان يدافع، فهل أنت نافعه بشيء يوم القيامة، «**قال: نعم، كان في أسفل النار، فجعلته في ضحضاحها**»[2]، أي في أعلاها، فهذه شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب.

**أما ما بعد ذلك من الشفاعات فهي شفاعات مشتركة**: كشفاعة أُناسٍ وجبت لهم النار ألا يدخلوها، يشترك فيها الملائكة، والأنبياء، والصالحون، وكذلك أُناسٍ دَخلوا النار أن يخرجوا منها، يشترك فيها الأنبياء، والرسل، والملائكة، والنبيون، والصالحون، والشهداء، والأفراد، وشفاعةٍ لأناسٍ في الجنة أن ترتفع درجاتهم، وهذه أيضًا يشترك فيها الأنبياء والمؤمنون، فهذه الشفاعات السبع هي الشفاعة التي يثبتها أهل السُنة والجماعة.

---

(١) مسلم (١٩٣).

(٢) البخاري (٣٦٧٠).

**أما الشفاعة المنفية التي نفاها الله ﷻ**: هي ما يتعلق بها القبوريون، وما يتعلق بها المشركون، أن يطلبوا من الأحجار والأشجار، أو الأولياء أو الصالحين أن يشفعوا لهم، والذي يدعو الأولياء، والصالحين، ويسألهم شفاعتهم، نقول: شفاعتهم لا تُسمع، ولا تُستجاب، وطلب الشفاعة لها أحوال:

- في حال الحياة.
- وفي حال البرزخ.
- وفي حال عرصات يوم القيامة.

**أما في حال الحياة**: فطلب الشفاعة بمعنى طلب الدعاء.

حال الحياة عندما تقول: يا فلان اشفع لي، فمعناها: أنك تطلبه الدعاء، وهذا جائزٌ عندما تأتي لشخص يقول: يا فلان ادعُ الله لي أن يغفر لي أو أن يرحمني، نقول: لا بأس بذلك، ولو قاله بصيغة الشفاعة اشفع لي، نقول: لا بأس بذلك؛ لأن الشفاعة حقيقتها هو أن يضم الشافع قوله إلى قول المشفوع له في تحقيق حاجة يطلبها، أو في أمرٍ يريده، فهذه جائزة.

**الحالة الثانية**: في حال البرزخ، وبعد خروج الروح، فإن من خاطب بقول: اشفع لي أو ادعُ الله لي، نقول: أشركت بالله الشرك الأكبر؛ لأن هذه الشفاعة لا يمكن أن يفعلها ذلك الميت، ولا يمكن أن يسمع دعاءك، ولا يمكن أن يسمع خطابك، وخطابك إياه بهذا هو الدعاء.

فأنت عندما تقول: يا رسول الله اشفع لي، نقول: أشركت بالله ﷻ وخرجت من دائرة الإسلام، وكذلك عندما تقول: ادع الله لي، نقول: أشركت بالله الشرك الأكبر المخرج من دائرة الإسلام.

**أما في عرصات القيامة**: فكما جاء في الصحيحين أنهم يقولون: **«يا رسول الله ألا ترى ما نحن فيه فاشفع لنا، فيشفع لهم ﷺ»**[1] ولكن الشفاعة مُلكٌ لله، لا يشفع الشافع ابتداءٍ أبدًا، وإنما يشفع بعد أن يأذن الله له، بخلاف أحوال أهل الدنيا، عندما يطلب الشفاعة من شخصٍ فإنه يباشر ويبادر بشفاعته دون أن يستأذن المشفوع عنده، عندما تطلب مثلًا من صاحب لك أن يشفع لك عند مسئولٍ أو عند مديرٍ لعمل فإن الشافع يأتي مباشرة ويُخاطب المدير: يا فلان وظِّف فلان.

---

(١) مسلم (٣٢١).

فهذه الشفاعة مباشرة دون أن يستأذنه في شفاعته، أما الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى فلا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له، وأما الشفاعة في الدنيا عندما يشفع فلان لفلان عند الله ﷻ يقول: يا ربي اغفر لفلان، فإن هذه لا تُستجاب إلا بعد أن يأذن الله، فإن أذن الله فقبل دعائه واستجاب له قُبلت شفاعته، وإن لم يقبلها الله ﷻ رُدَّت شفاعته، فالشفاعة مُلكٌ لله ﷻ، وما كان مُلكًا لله فلا يُطلب إلا مِنْ مَنْ؟ إلا مِنْ الله ﷻ.

إذًا هذا هو معنى الشفاعة، وتعلقهم بزعمهم ودعواهم أننا اتخذناهم شُفعاء، نقول: هذه الدعوى وهذا الزعم هو الذي أخرجكم من دائرة الإسلام، فإن مخاطبة الأموات بطلب الشفاعة، هو كفرٌ بالله وشركٌ بالله ﷻ من جهتين:

**الجهة الأولى**: إن كنت تخاطبه من بعيد أو بمكان تنأى عن الميت، فإن هذا اجتمع فيه شركان:

- **الشرك الأول**: أنك تعتقد في أنه يسمعك، وأنه يستطيع أن يُجيب دعائك من بعيد، وهذا ادعاء أنه يعلم الغيب، وهذا كفرٌ مستقل.

- **ومن جهةٍ أخرى من جهة الألوهية**: حيث أنك دعوته وسألته وهذا الدعاء والسؤال لا يستحقه إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى:** ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٤٤]، **ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال تعالى:** ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة: ٢٥٥]، **ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال** ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء: ٢٨].

## • الشرح •

أي الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع، فإذا توفرت الشروط، وأذن الله للشافع أن يشفع، نفع المشفوع شفاعة الشافع.

أما المشركون والقبوريون فإنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين؛ لأنه بطلب الشفاعة من غير الله ﷻ وقعوا في الشرك الأكبر، والله لا يرضى عن المشركين، كما جاء في الصحيح عن أبي هريرة، قال: قلت يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: **«من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»**[1]، إذًا من لم يُحقق التوحيد، ولم يُحقق الإخلاص فإن الشفاعة لا تناله، ولا ينال شفاعة النبي ﷺ، والشفاعة يُنكرها الخوارج ويُنكرها المعتزلة، أما أهل السُنة فيثبتونها.

---

(١) البخاري (٩٩).

## • المتن •

قال بعد ذلك: **ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد، تبين لك أن الشفاعة كلها لله، فأطلبها منه فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيَّ، وأمثال هذا، فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله، فالجواب: إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا.**

## • الشرح •

نقول له: والجواب كما قال الشيخ: قل: إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن سؤالهم، ونهاك أن تطلبها منه بقوله تعالى: ما هو الدليل على ذلك؟ قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦]، فالله الذي أعطاه الشفاعة أمرك أيضًا بتوحيده وإخلاص العبادة له، وألا تشرك به طرفة عين، وسؤالك إياه وطلبك إياه أن يشفع لك، هذا هو الشرك بالله ﷻ، وهو الذي نهاك الله ﷻ عنه، ونهاك أن تقع فيه.

هذا الجواب الأول على هذه الشُبهة أن نقول له: أن الذي أعطاه الشفاعة نهاك عن سؤاله، ونهاك عن طلبه من النبي ﷺ مباشرة، وإنما الذي أمرك به أن تقول: اللّهم شفع في رسولك ﷺ.

**الوجه الثاني**: ساق الأدلة على ذلك بقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦].

**ثانيًا: الجواب الثاني**: وأيضًا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، أي أن الشفاعة كما تزعم أيها القبوري، وأيها المشرك أن الله أعطاها محمد ﷺ فنقول لك أيضًا: الله أعطاها الأنبياء جميعًا، وأعطاها الملائكة، وأعطاها الأفراد، وأعطاها الشهداء، وأعطاها المؤمنين، فلك أن تقول: أنا سأسأل هؤلاء أيضًا أن يشفعوا لي، وإذا أقرَّ بذلك وقع فيما وقع فيه مشركو العرب.

ومشركو العرب فإنهم كانوا يدعون الملائكة، ويدعون الأولياء والصالحين بدعوى أنهم شُفعائهم عند الله، وأنهم يقربونهم من الله زلفى، فحتمًا سينكر ذلك، ولا يُقِرُّ به، فتنقطع حُجته ويُخصم بهذا الدليل وبهذا البرهان، فإن لله ﷻ أمر بتحقيق العبادة له، وألا يُشرك به شيئًا سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

يقول: فإن قلت هذا، فقال: والأولياء يشفعون، أتقول: أن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟ فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه، وإن قلت لا، بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلبها مما أعطاه الله، أي: هذا القول قولٌ باطل، فيلزمك أن تقول أيضًا هذا في الشهداء، وفي الصالحين، وفي الأفراط، فتقف على قبور الأفراط وتدعوهم من دون الله أن يشفعوا لك، وتقف على قبور الصالحين وتدعوهم من دون الله، وتخاطب الملائكة بالدعاء أن يشفعوا لك، وهذا هو دين المشركين.

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخُدري رضي الله تعالى عنه أن الله يقول: **«شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين»**[1]، فكل هؤلاء يشفعون، والأفراط أيضًا يشفعون كما جاء في الصحيح: **«ما من مسلمٍ قد إلا كن له حجابًا من النار، وثلاثة أيضًا كن لهم حجابًا من النار»**[2].

---

(1) مسلم (١/١٦٧)، سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٥/ ٣٦٨)، المسند (١١٨٩٨).

(2) المسند ط الرسالة (٣٩/٤٣٣).

## • المتن •

قال بعد ذلك: **الفصل العاشر إثبات أن الالتجاء إلى الصالحين شرك وإلجاء من أنكر ذلك إلى الاعتراف به، فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا. ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري.**

## • الشرح •

هذه الآن شبهة أخرى وهي قوله: أن الالتجاء إلى الصالحين والالتجاء إلى الأولياء ليس بشرك، وإنما هو التجاء وتوسل، ووجهاء وشفاعة، **"فقل له: إذا كنت تقر"** هذا الآن تنزل، ألست **"تقر أن الله ﷻ حرَّم الشرك"** وأن الله ﷻ أخبر أن الذنب الوحيد الذي لا يُغفر هو الشرك بالله ﷻ، وأخبر أن من أشرك بالله، أن الجنة عليه حرام، وأنه خالدٌ في نارِ جهنم أبد الآباد، فلابد أن يقول: نعم، فقل له: أيهما أعظم حُرمةً الزنا أو الشرك؟ لا شك أنه سيقر أن الشرك أعظم؛ لأن صاحبه مخلدٌ في نار جهنم، فلزامًا أن يكون الله قد بين الشرك وبيَّن صوره، وبين أنواعه.

إذا كان النبي ﷺ لم يترك طائرًا يطير بجناحيه في السماء إلا وأعطى أمته منه خبرًا، وأعلمهم وأخبرهم ما يقوله المسلم عند دخول الخلاء، وما يقول عند الخروج منه، أتراه لا يُعلمهم التوحيد؟! ولا يُعلمهم حقيقة الشرك؟! لا شك أن هذا من أعظم سوء الظن بالله، وبرسوله ﷺ.

ورسولنا قد بلغ الرسالة، ونصح الأمة، وأعظم ما بلَّغه هو توحيد الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى وإفراده بالعبادة، فقل له: بعد ذلك إذا كان هذا الأمر بهذه الأهمية، وبهذه المنزلة العظيمة فعرِّف لي الشرك، وما هو الشرك الذي نهى الله عنه؟ والذي حذر الله منه؟ وأمر أن لا نعبد إلا هو، وألا نشرك به شيئًا، فقل: أخبرني ما هو الشرك؟

فإن قال: لا أعرفه، فقل له: كيف تنفي عن نفسك شيئًا لا تعرفه، وهذا من أعظم المصيبة أن ينفي الإنسان عن نفسه شيئًا لا يعرف.

## • المتن •

فقل له: **كيف تبرِّئ نفسك من الشِّرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرِّم اللّه عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه، ولا تعرفه؟! أتظن أن اللّه يحرمه ولا يبينه لنا.**

## • الشرح •

لا شك أن هذا من جهل الإعراض الذي لا يُعذر به صاحبه يوم القيامة، فأوجب واجب وأعظم ما يجب على العبد أن يتعلمه أن يعرف التوحيد، وأن يُحققه، وأن يعرف الشرك وصوره؛ حتى يجتنبها ولا يقع فيها.

## المتن

**فإن قال: الشرك: عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟**

## الشرح

إن عرَّف لك الشِّرك بتعريفٍ خاطئ، وتعريفٍ باطل، فقال: **"إن الشرك: عبادة الأصنام"** فقط، **"ونحن لا نعبد الأصنام فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟"**، هذه الشبهة تكررت معنا سابقًا، وهي قوله: كيف تشبهون من يعبد الأولياء والصالحين، بمن يعبد الأحجار، والأشجار، والأصنام؟

**"فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟"** أي: ما معنى معتقد كفار قريش، ومشركي العرب بالأصنام التي كانوا يعبدونها؟ أتظن أنهم يعتقدون فيها أنها تنفع، وتضر وتستقل بذلك دون الله ﷻ؟

فإن قال: نعم نقول: كذبت بتكذيب الله له سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وهذه الدعوى ادَّعاها وأحد الضُلَّالِ، وأحد دعاة القبور، ودعاة الشرك بالله ﷻ، وقال: إن مشركي العرب كان شركهم من جهة توحيد الربوبية، لا من جهة توحيد الألوهية، وألَّف في ذلك كتاب سماه: «مفاهيم يجب أن تُصحح»، وزعم أن من المفاهيم التي يجب أن تُصحح مفهوم أن مشركي العرب كان شركهم في توحيد الربوبية، لا في توحيد الألوهية، وهذه الدعوى، وهذا المفهوم، مفهومٌ باطل.

بل أخبر ربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى أنهم كانوا يُقرُّون أن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، النافع الضار، الذي يملك النفع والضر، وأن هذه الأصنام التي يعبدونها ويرجونها إنما عبدوها من باب أنها تُقرِّب من الله زلفى.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر الأمر من دون اللّه فهذا يُكذِّبه القرآن، وإن قال: هو من قصد خشبةً و حجرًا، أو بنيةً، على قبرٍ أو غيره، يدعون ذلك، ويذبحون له، يقولون: إنه يقربنا غلى اللّه زلفى، ويدفع اللّه عنا ببركته، أو يُعطي البركة فقل صدقت وهذا هو فعلكم.**

## • الشرح •

كما ذكرنا الآيات، إذا قال: أن فعلهم أنهم كانوا يذبحون لها، ويدعونها، ويزعمون أنها ترفع عنهم بأمر الله ﷻ، وتدفع عنهم الضرَّ بأمر الله ﷻ، فقل له: هذا هو فعلكم عند القبور، وعند الأولياء، وعند الصالحين، فأنتم تدعون الأولياء والصالحين بزعم أنهم يدفعون الضُر عنكم بأمر الله ﷻ، ويجلبون لكم الخير بأمر الله ﷻ، وهذا هو الشرك الذي أخبر الله ﷻ عنه أنه وقع فيه مشركو العرب، وعُبَّاد الأحجار والأشجار، ولا فرق بين من عبد حجرًا، أو عبد وليًّا، أو عبد نبيًّا، فكلهم قد أشرك بالله ﷻ.

## المتن

قال بعد ذلك: **فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام فهو المطلوب، قال: ويُقال له أيضًا: قولك الشرك هو عبادة الأصنام هل هو مرادك أن الشِرك مخصوصٌ بهذا؟**

## الشرح

إذا كان قصده إذا قال: الشرك عبادة الأصنام نسأله ونقول له: هل تقصد بهذا أن الشرك محصور فقط بعبادة الأصنام؟ فإن قال: نعم، قلنا له: كذبت؛ لأن الله كذبك بقوله: أن الله كفَّر الذين اتخذوا الملائكة أولياء وعبدوهم من دون الله ﷻ، وكفَّر الله الذين عبدوا عيسى عليه السلام، وكفَّر الله الذين اتخذوا عزيرًا ابن الله ﷻ، وكفَّر الله خلقًا كثيرًا ممن لم يعبدوا صنمًا، ولم يعبدوا حجرًا، ولا وثنًا، وإنما عبدوا الأولياء، وعبدوا الملائكة، وعبدوا الصالحين، فدعواك هذه باطلة.

## • المتن •

وإن قال: **وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في ذلك، فهذا يرده ما ذكره اللّه في كتابه، من كفر من تعلق باللّه أو بعيسى أو بالصالحين، فلابد أن يُقر لك أن من أشرك في عبادة اللّه أحد من الصالحين، فهذا هو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب.**

## • الشرح •

إذًا هذه الشُبه يُبطلها القرآن: أن الله كفَّر عُبَّاد الصليب، أي: عُبَّاد عيسى عليه السلام، الذين يعبدون عيسى، وكفَّر عُبَّاد الصالحين، وكفَّر عُبَّاد الملائكة، وهؤلاء لا يعبدون أصنامًا، فلابد أن يُقِرَّ لك بذلك، ثم إذا أقر بذاك لابد أن يُقِرَّ أن ما فعلوه من صرف العبادة أو من سؤال الأولياء، والصالحين، والملائكة، أنه هو الشرك بالله ﷻ وأن فاعله كافرٌ بالله خارج من دائرة الإسلام، وأن ما يُفعل عند قبور الأولياء والصالحين هو الشرك المخرج من دائرة الإسلام.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **وسر المسألة، أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له وما الشرك بالله؟ فسره لي، فإن قال هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي، فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده، فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي، فإن فسرها بما بيَّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئًا، وهو لا يعرفه، وإن فسَّر ذلك بغير معناه بيَّنت له الآيات الواضحات في معنى الشِرك وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيها كما صاح إخوانهم حيث قالوا:** ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٥].

## • الشرح •

أي: أعاد الشُّبه بأسلوب مبسط، فأخذ يتنزل مع هذا الخصم، فقل له: عرف لنا معنى العبادة، ثم عرِّف ما معنى الشرك، فإن عرفها على المعنى الصحيح، فيلزمه أن يعبد الله وحده، وإن عرَّف الشرك بالمعنى الصحيح فيلزمه أن يجتنبه وأن يتقيه، وإن عرفه بغير معناه الصحيح فالواجب علينا: أن نعلمه التوحيد، وأن نعلمه العبادة التي يستحقها الله ﷻ، وأن نبين له الشرك ونحذره منه، ثم نُلزمه بإحقاق العبادة لله ﷻ وألا يصرفها لغيره سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

۞۞۞

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ذكر -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- شبهة أخرى أيضًا يُدلي بها عُبَّاد القبور، أو يُدلي بها المشركون، وهي دعواهم وزعمهم أن الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى إنما كفَّر عابدي الملائكة، وعابدي عيسى عليه السلام، وعزير بأنهم وصفوهم بأنهم بنات الله، أو أن عيسى ابنًا لله ﷻ، أو أن عُزيرًا ابنًا لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، وهذه الشُبهة ترد من وجوه:

**الوجه الأول**: أننا لا ننكر أن من وصف لله ولدًا أو زعم أن لله ولدًا أنه كافرٌ بإجماع المسلمين، وأنه يكفر بهذا الزعم وبهذا الاعتقاد، ولو كان عابدًا لله ﷻ، ولو كان مصليًّا ساجدًا خاضعًا خاشعًا معتقدًا أن

الله هو المستحق للعبادة، فإنه يكون كافرًا بالإجماع، بدعوى أنه وصف الله بالولد، وصف الله أنه له ولدًا، سُبحَانَهُ وتَعَالَى عما يقول الكافرون علوًّا كبيرًا، وهذه الدعوى من أعظم السب لله ﷻ والافتراء عليه.

**الوجه الثاني**: أن الذين كفَّرهم الله ﷻ ليسوا كلهم على هذه الطريقة، فكان كفار قريش يعبدون اللات، وقد كفَّرهم الله ﷻ مع أنهم ما كانوا يعتقدون في اللات أنه ابنٌ لله ﷻ، أو أنه ولد لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وإنما كفَّرهم؛ لأنهم كانوا يصرفون شيئًا من العبادة لذلك الرجل الصالح، من دعائه وسؤاله، والتقرب إليه، بنوع النُّذُر، أو بنوعٍ القرابين من ذبحٍ ونحرٍ وما شابه ذلك.

**الوجه الثالث في الرد على هذه الشُبهة**: أنه لا زال أهل العلم يذكرون في كُتبهم في "باب أحكام المرتد"، يذكرون من أنواع الردة من نسب لله ولدًا، ويجعلونه ناقضًا مستقلًا، ويُعقبون بعده بالشرك بالله ﷻ ويجعلونه ناقضًا مستقلًا، فأصبح نسبتها لله ناقض، وكفر بالله سُبحَانَهُ وتَعَالَى وأصبح الشرك أيضًا كفرٌ بالله مستقل.

فيكون الجواب: أن مشركي العرب ومشركي قريش وبعض الكفار الذين كفَّرهم الله ﷻ اجتمعت فيهم عدة مُكفِّرات، فكُفِّروا بدعوى: أنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، وكُفِّروا أيضًا بدعوى: أنهم عبدوا غير الله وصرفوا العبادة لغير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

والله سُبحَانَهُ وتَعَالَى هو الأحد الذي لا سَمِيَّ له في أسمائه ولا في صفاته، ولا في ذاته، فهو أحدٌ صمدٌ، تصمد الخلائق كلها إليه، وهو سيدٌ لا جوف له سُبحَانَهُ وتَعَالَى، ولا يلد ولا يولد سُبحَانَهُ وتَعَالَى، من نسب لله الولد، أو نسب لله الفقر والحاجة فهو كافرٌ بإجماع المسلمين.

قال بعد ذلك -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: ذكر شبهة ثانية، وهي قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢]، وهذه الشُبهة، دعواه أن الأولياء لهم جاه، ولهم منزلةٌ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن من مقتضى هذا الجاه أن يُتوسَّل بهم، وأن يُتقرب بهم إلى الله ﷻ، وأن دعائهم وسؤالهم والتشفع بهم عند ربنا أن هذا ليس شركًا مخرجًا من دائرة الإسلام، وهذه الدعوى وهذه الشُبهة، باطلةٌ من وجوه:

**الوجه الأول**: أن معنى الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢]، أن حقَّ الأولياء: أن نُحبهم وأن نترضى عليهم، وأن نُقِرَّ بكراماتهم، وأن نشهد لمن شهد الله له بالجنة أنه من أهل الجنة، ونقطع أنه من الصالحين إذا ماتوا على ذلك، وماتوا على هذا العمل الصالح.

أما أن ندعوهم، ونرجوهم، ونسألهم ونتقرب إليهم بأنواع القُرب التي لا يستحقها إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، فهذا هو الشرك الأكبر الذي كفَّر الله به كُفَّار العرب، وكفَّر الله به مشركي العرب، فإن مشركي العرب إنما كفروا بالله ﷻ لما صرفوا العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

فاللات رجلٌ صالح، والملائكة خلقٌ صالحون أيضًا، والأنبياء خلقٌ صالحون، ومع ذلك كفَّر الله من عبدهم، ومن سألهم ومن رجاهم، إلا من عرف حق الله فيهم، والنبي ﷺ يقول: **«لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله»**[١].

ولما قال له رجلٌ ما شاء الله وشئت، قال: **«أجعلتني لله ندًّا، قل: ما شاء الله وحده»**[٢]، ولما جاء له بعض الصحابة قالوا يا رسول الله: إنا نستشفع بك على الله، فسبَّح الله وعظَّمه وقال: **«إنه لا يستشفع بالله على أحدٍ من خلقه»**[٣]، أي: أن الله أعظم من ذلك سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وإنما الذي يُعبد ويُسأل ويُرجى ويُخاف هو ربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وأن من صرف شيئًا من العبادة لغير الله أيًّا كان ذلك المصروف له، نبيًّا كان أو ملكًا أو رسولًا كما قال الشيخ في «الأصول»: **"إن لله لا يرضى أن يشرك معه لا ملكٌ مقرب، ولا نبيٌ مرسل"** وخصَّ الملك المُقرَّب والنبي المُرسل؛ لأنهم أفضل الخلق.

فأفضل الخلق الملائكة، والصالحون من الأنبياء والرسل، فإذا كان الله لا يرضى أن يُشرك به، ولا يُشرك معه الملائكة المقربون، ولا الرُّسل ولا الأنبياء، فمن باب أولى: من كان دونهم من خلقه سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

---

(١) البخاري (٤/١٦٧).

(٢) صحيح ابن خزيمة (٤/١٠٦).

(٣) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٧/ ١٠٧).

"

## • المتن •

قال بعد ذلك: **الفصل الحادي عشر: إثبات أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا.**

**فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:**

## • الشرح •

أي: أن مشركي العرب كانوا يعبدون الملائكة، والصالحين، والأنبياء، ويسألونهم ويرجونهم، مع اعتقادهم أنها لا تنفع ولا تضر استقلالًا، والذي سمَّاه المشركون في زمن شيخ الإسلام في زماننا هذا أن الشرك هو أن تعتقد فيهم النفع والضر، هذا اعتقادٌ فاسدٌ وباطل، بل الشِّرك: هو أن تصرف شيئًا للعبادة لغير الله ﷻ.

وأراد بهذا الفصل أن يُبين -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أن تفاخر أو امتناع أو أنفة مشركي زمان الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أن يُشَّبهوا بمشركي العرب أنه ليس له وجه، بل مشركي العرب في زمن النبي ﷺ أخف من مشركي زماننا بأمرين:

**الأمر الأول**: من جهة الكَمِّ، أي: أن مشركي العرب أخف شركًا من جهة الكَمِّ، فمشركوا العرب ما كانوا يشركون في كل زمان، بل كانوا لا يشركون بالله ﷻ إلا في حالة واحدة وهي حال الرخاء، أما في حال الشدائد، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[العنكبوت: ٦٥]، أي: في وقت الشدة، وفي وقت الكرب، وفي وقت الشدائد، كان كفَّار قريش ومشركو العرب يوحدون الله ﷻ ولا يدعون إلا الله وحده سُبحَانَهُ وتَعَالَى، أما في حال الرخاء: فيشركون بالله ﷻ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

أما مشركو زماننا فهم يُشركون في وقت الرخاء، ويشركون في وقت الشدة، ففي الرخاء مشركون بالله، ويدعون غير الله ﷻ وإذا تلاطمت بهم الأمواج في البحار، واشتدت بهم الكُرب، أيضًا دعوا غير الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

يُذكر أن أحدهم ركب سفينة -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ومات، هذا الرجل أعرفه، يقول: ركبت سفينةً مع بعض جاليته، يقول: فلما ركبنا السفينة، وكانوا على مذهب باطلٍ وعلى شركٍ بالله ﷻ فلما تلاطمت بنا الأمواج، أخذوا يدعون، يا عبد القادر، يا عبد القادر يقول: فقلت لهم: اتقوا الله ﷻ ووحِّدوا الله فإن الله هو الذي يُنجيكم من هذا الخطب، ومن هذا الكرب، فقالوا: إن لم تسكت وإلا رميناك، فهدأت الأمواج وسكنت فقال: بعضهم قد كدنا أن نهلك بدعواك، وبقولك، فأصبحت الدعوة إلى التوحيد هي سبب هلاكهم نسأل الله العافية والسلامة.

فكانوا يشركون بالله في زمن الرخاء، وفي زمن الشدة، وأخرى لمَّا اشتد بها الزحام على الكعبة، لما اشتد بها الزحام في الطواف، أخذت تُنادي بسيدٍ ووليٍّ من الأولياء، وتقول: سترك يا فلان، سترك يا فلان، وفي حماك يا فلان، وفي حماك.

أما مشرك، العرب ومشركو أهل الجاهلية، فكانوا في وقت الشدائد يوحدون الله ويدعون الله وحده، فأيهما أفضل؟ وأيهما أخف؟ من يُشرك في زمان الرخاء وحده؟ أو الذي يُشرك في زمن الرخاء والشدة؟ لا شك أن الذي يُشرك في زمن الرخاء وحده أخف كفرًا وأخف شركًا ممن يُشرك بالله ﷻ في زمن الرخاء وفي زمن الشدة.

**الأمر الثاني**: الذي يُفضَّل فيه مشركو العرب، ومشركو قريش على مشركي زماننا: أن مشركي العرب وقريش والكفار الأوائل كانوا يُشركون إما بحجر لم يعص الله قط، أو بشجرٍ لم يعصِ الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، أو بوليٍّ صادقٍ أو بصالحٍ، أو بنبيٍ أو برسول، وكلهم مشركون كفار بهذا العمل، أما مشركو زماننا فهم يُشركون بالفجرة، والكفرة، والفسقة، حتى أن بعض من يُعظمونه ويشركون به، ويدعونه من دون الله ﷻ، ذُكر في ترجمته أنه كان إذا علا المنبر أخرج ذكره وأخذ يبول على الناس.

يبول على الناس ويتبركون ببوله، ويتبركون بغائطه -نسأل الله العافية والسلامة- فهو كان فاجرًا فاسقًا، وتاج الذي كان يُعبد من دون الله في هذه البلاد، كان رجلًا فاجرًا فاسقًا، يرتكب المحرمات، ويُعاقر المحرمات -نسأل الله العافية والسلامة- ومع ذلك كانوا يُشركون به مع الله ﷻ، فأصبح الذي يُشرك برجلٍ صالح أو بوليٍّ أو بحجرٍ أو شجرٍ، أخفُّ من جهة ممن يُشرك بفاجرٍ وفاسق.

وكلهم في الحقيقة مشركون خارجون من دائرة الإسلام كفار، فالعبرة: بصرف العبادة لغير الله ﷻ لا بنوع المعبود:

⇦ فمن عبد حجرًا كفر.

⇦ ومن عبد ملكًا كفر.

⇦ ومن عبد رسولًا كفر.

ولو كنت طوال عمرك على توحيد الله ﷻ ولكنك في ليلة من الليالي ضاق أمرك، فسألت مثلًا العيدروس، أو الدسوقي، أو البدوي، أو عبد القادر، أو دعوت رسول الله ﷺ، فإنك بهذا الدعاء تكون قد كفرت بالله، وأشركت بالله، وخرجت من دائرة الإسلام، ووجب لك النار والخلود فيها؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢].

إذًا هذا الذي ذكره شيخ الإسلام في هذا المقطع ليُبيِّن أن ما يألف به مشركو زمانه من تشبيههم لمشركي العرب أن فيه تفضلٌ معهم، بل مشركو العرب أخف شركًا وأخف حُكمًا منكم؛ لأنكم دونهم من جهتين:

- من جهة الكم.

- ومن جهة الكيف.

قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بعد ذلك من فهم هذه المسألة التي وضَّحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضُرِّ والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، أي **هذا هو الأمر الأول**.

**والأمر الثاني من جهة الكيفية**: فهؤلاء يدعون صالحين ويدعون أولياء وملائكة، وأولئك يدعون أحجارًا وأشجارًا، وإن اشتركوا في الكفر والخروج من دائرة الإسلام إلا أنهم أخف من جهة كيفية ما يُشركون به، هذا ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ونقف على هذا الفصل.

والله أعلم وأحكم، وصلى اللّٰهم وسلم وبارك على نبينا محمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## • المتن •

**الفصل الثاني عشر كشف شبهة من زعم أن من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافرا**

**إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء. فاعلم أن لهؤلاء (شبهة) يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها. وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا. ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم. فكيف تجعلوننا مثل أولئك. فالجواب أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج.**

## • الشرح •

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لما أنهى شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ما يتعلق بالشبه التي يذكرها عُبَّاد القبور والمشركون فيما يتعلق من عبادة غير الله ﷻ والتوسل إليهم وبهم، انتقل إلى شُبهةٍ أخرى وهي شُبهةٌ تتعلق بالعلماء دون العوام، وذلك أن شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- عرض معتقده على علماء المسلمين في الحجاز، وفي نجدٍ، وفي الأحساء، فوافقوه على معتقده وخالفوه في مسألة التكفير والقتل.

**وهذه الشُبهة**: هي كيف تُكفر المسلمين؟ وكيف تقاتلهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله؟ فقالوا: إن من قال لا إله إلا الله فإنه هو المسلم ولا يُكَّفر، ولا يُقاتل حتى يُكذِّب بهذه الكلمة أو ينقضها، هذه هي شُبهة القوم، وهي التي يدندن حولها كثيرٌ من عُباد القبور والمشركين، ويُدندن حولها أيضًا من يُصحح

مذاهب أهل الباطل، ويُصحح اعتقادهم، ويرى أن من كفَّر من كفر بالله ﷻ مع نطقه بالشهادتين أنه على مذهب الخوارج، وأنه على دين المعتزلة الذين يُكفِّرون أهل الإسلام.

وهذه الدعوى وهذه الشُبهة دائمًا يدندن حولها كلُ من خالف معتقد أهل السُنة والجماعة في باب التكفير، ولا شك أن التكفير حُكمٌ شرعي أُلزمنا به، وأُلزمنا أن ندين الله ﷻ به، بل لا يصح إسلامنا ولا يصح إيماننا إلا بتحقيقه والإتيان به كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[البقرة: ٢٥٦].

ولا إيمان إلا بتكفير ولا تكفيرٌ إلا بإيمان، ولكن لا نُكفِّر إلا من كفَّره الله ورسوله ﷺ وأجمع المسلمون على كفره، أما أن نُكفِّر من لم يُكفِّره الله ورسوله، أو نكفِّر الناس على مذهب الخوارج والمعتزلة بارتكابهم الكبائر وفعلهم الذنوب التي لا يُكَفَّرون بها فحاشا وكلا، فأهل السُنة إنما كفَّروا من كفَّره الله ورسوله، وقاتلوا من أوجب الله ورسوله قتاله، وكفوا عمَّن كف الله عنه، وكف عنه رسوله ﷺ، هذه شبهتهم.

وقد أجاد شيخ الإسلام في نقل هذه الشُبهة، وفي إبطالها، وذكر إحدى عشر دليلًا على إبطال هذه الشُبهة من أوجهٍ كثيرة.

فهذا كافرٌ بالله ﷻ، ولا يصح إسلامه بإجماع المسلمين، ومعنى هذا الجواب: أن الذي يريد أن يدخل في الإسلام، ويقول: لا أدخل إلا آخذًا بعض الإسلام، أي: أقبل شيئًا من الإسلام وأُنكر بعضه، أقبل الصلاة وأترك الحج، أقبل الزكاة ولا أقبل الصوم، فإن هذا كافرٌ بالله ﷻ، وخارج، ولا يُحكم له بالإسلام، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[النساء: ١٥٠، ١٥١].

فحَكَمَ الله ﷻ على من أراد أن يقبل بعض الإسلام ويترك بعضه أنه كافرٌ حقًّا وأنه لا يُسمى مُسلمًا، هذا إذا كان قبل أن يُسلم، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[البقرة: ٢٠٨]، فأهل الإسلام مأمورون أن يأخذوا بالإسلام كله، وأن يدخلوا في الإسلام كله، وألا يتركوا منه شيئًا، هذا هو الذي أولُ جوابٍ ذكره شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- على هذه الشُبهة.

إذا كان الذي يقبل بعض الإسلام ويترك بعضه كافرٌ بإجماع المسلمين ولا يُسمى مسلمًا، ولا يصدق عليه أنه دخل في الإسلام، فكذلك الذي يقرُّ بالصلاة والزكاة والصيام، ولكنه يقول: الحج ليس بواجب، فيُنكر وجوب شيء من الشرائع الظاهرة، كالصوم والزكاة والحج، فهذا أيضًا كافرٌ بإجماع المسلمين.

وأيهما أعظم، أن يُنكر فرعًا من فروع الشريعة أو شريعة من شرائع الإسلام، أو يُنكر توحيد الله ﷻ الذي هو أعظم ما دعا إليه محمدٌ ﷺ؟! فرسولنا ﷺ مكث عشر سنواتٍ في مكة يدعو الناس إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، ويقول: **«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»**[1]، ولم تُفرض الصلاة إلا قبل الهجرة بثلاث سنوات، أي بعد دعوته وبعثته ﷺ بعشر سنين، فهذا الأمر الذي بعث الله رسوله به، ودعا الناس إليه عشر سنوات، لا يكفر من تركه، ويكفر من جحد وجوب الصلاة والزكاة، لا شك أن هذا تناقضٌ عظيم، فإن جاحد الصلاة كافر، وتارك الصلاة أيضًا كافر، وأعظم كفرًا منه الذي ترك التوحيد، والذي لم يعمل بـ**«لا إله إلا الله»**.

فإن الإسلام قائمٌ على خمسة أركان:

- على الشهادتين.
- وعلى الصلاة.
- والزكاة.
- وعلى الصيام.
- والحج.

ومن ترك أحد هذه الأركان الأربع دون الشهادتين جاحدًا لوجوبها كفر بإجماع المسلمين، ومن تركهما ممتنعًا عن الالتزام بها كفر أيضًا بالاتفاق كما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية، وأما من ترك التوحيد فكفرهُ أعظم ولا يُسمى مسلمًا إلا إذا حقق التوحيد وأتى به، ومما يدل على ذلك: أن العبد الذي يموت بعد أن ينطق بالشهادتين ولم يُصل ولم يُزك ولم يصم، فإنه يُسمى مسلمًا، ويُدفن مع المسلمين.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٥/ ٤٠٤)، صحيح ابن خزيمة (١/ ٨٢)، المستدرك للحاكم (١/ ٦١).

أما لو صلى وصام وزكى وحج، ولم يُقرَّ بالشهادتين فإنه كافرٌ بالله ﷻ خالدٌ مُخلدٌ في نار جهنم، فإذا كنتم تقرون وتتفقون وتجمعون على أن تارك الصلاة يُكفَّر، فأعظم من ذلك الذي يترك التوحيد ولا يعرف معنى لا إله إلا الله، فهذا هو أول جوابٍ ذكره على هذه الشبهة.

## • المتن •

ثم قال: **فإذا كان اللّه قد صرَّح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا.**

## • الشرح •

زالت هذه الشُبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء، أي: من علمائهم الذين انتقدوا على شيخ الإسلام أنه يُكفِّر من قال: **«لا إله إلا الله»**، ويُكفِّر من يشهد **«أن محمدًا رسول الله»**.

فردَّ عليهم بهذا الجواب السديد الموفق: أن الله كفَّر من قَبِل بعض الإسلام وترك بعضه، وهم مجمعون على هذا القول، وموافقون له بل ينقلون الإجماع أن جاحد وجوب الصلاة كافر، فمن باب أولى من جحد التوحيد، أو من نطق بالشهادتين، ولم يعمل بمقتضاها، ولم يُحقق معناها، فإنه كافرٌ أيضًا بالإجماع.

## المتن

قال: **ويُقال أيضًا: إن كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة، أنه كافرٌ حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث كفر بالإجماع، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان.**

## الشرح

أي: أن من جحد واجبًا من واجبات الإسلام، أو من الشرائع الظاهرة فأنت أيها المعترض، وأيها الذي طرحت هذه الشُبهة تقر بأنه كافر، وأنه خارجٌ من دائرة الإسلام مع أنه يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأنت كفَّرته مع نطقه بالشهادتين بأمر غير عدم نطقه بالشهادتين، وهو ترك الصلاة، فكيف إذا كان ناطقًا بالشهادتين وهو لا يعمل بمقتضاها؟!

**فهذا الجواب الثاني**: أنه من جحد شيئًا من المعلوم من الدين بالضرورة أنه كافرٌ بالإجماع مع أنه ينطق بالشهادتين.

## • المتن •

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: **فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.**

## • الشرح •

ووجه تعظيم التوحيد على سائر الشرائع لأمور:

**الأمر الأول**: أنه هو الأمر الوحيد الذي مكث النبي ﷺ يدعو إليه عشر سنوات لا يدعو إلى شيءٍ غيره، لا يدعو إلى حج، ولا إلى صيام، ولا إلى صلاة، ولا إلى جهاد، ولا إلى أيِّ شيءٍ، وإنما كان يدعو الناس أن يقولوا: لا إله إلا الله، ويقولوا كلمةً تدين لكم بها العرب والعجم، فكانوا يقولون: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[ص: ٥]، هذا الأمر الأول أنها أعظم ما يُدعى إليه؛ لأن النبي ﷺ دعا إليها عشر سنوات قبل أن تُفرض الصلوات والزكاة والصيام.

**الأمر الثاني**: أن الذي ينطق بالشهادتين يُسمى مُسلمًا إذا مات بعد نطقها، ولو لم يُصل ولم يصم ولم يُزكِّ، فإنه يُحكم بإسلامه ويُدفن مع المسلمين، ويُصلى عليه.

**الأمر الثالث**: أن النبي ﷺ كان إذا أرسل رسله وأرسل دعاته ﷺ فكما جاء في الصحيحين عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن فقال: **«إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله»**[1]، وفي رواية: **«أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإذا هم أقروا بذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات»**[2].

فنقله إلى الصلاة بعد إقرارهم بالتوحيد، فهذا يدل على أن التوحيد هو أعظم أمرٍ، أو أعظم مقصودٍ يقصده شارعنا، وربنا سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ في تحقيقه، فمن حقق جميع الشرائع ولم يُحقق التوحيد فلا شك في كُفره بإجماع أهل الإسلام.

**والأمر الرابع**: هو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله ﷻ، وهو الذنب الوحيد الذي إذا وقع فيه العبد أن أعماله كلها تحبط ويُخلَّد خالدًا في نار جهنم نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٥٢، ٣٦٩، ٣٨٠)، ومسلم (١/ ٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٥).

## • المتن •

فيقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: : **وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم، لا يكفر سبحان اللّه ما أعجب هذا الجهل!**

## • الشرح •

**وهذا أيضًا ميزةٌ خامسة**: أن التوحيد هو دين جميع الرسل من لدن نوح عليه السلام إلى محمدٍ ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، فإذا كان هذا التوحيد الذي هو دين جميع المرسلين ودين جميع الأنبياء لا يكفر تاركه ويكفر تارك الصلاة هذا من التناقض العجيب، وهذا من الجهل العظيم.

وما أعظمه! وصدق رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، إذا كنت تكفِّر جاحد الصلاة والزكاة فكيف لا تكفِّر من ترك التوحيد ولم يعمل به ولم يأت به؟!

## • المتن •

ويقال أيضًا: **هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، ويؤذنون ويُصلون، فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي.**

## • الشرح •

وجاءوه في عام الوفود معلنين بيعتهم وإسلامهم لرسول الله ﷺ، ولكنهم أقروا بأن مُسيلمة رسولًا مع رسول الله ﷺ وأن الرسالة صارت إليه بعد محمد ﷺ فقاتلهم الصحابة وكفَّروهم بالإجماع، واستباحوا دمائهم وأموالهم؛ لأجل أنهم نزَّلوا مسيلمة الكذاب منزلة الرسول ﷺ.

**وهذه المسألة محل إجماعٍ من أهل العلم**: أن من قال: أن فلانًا رسولٌ بعد رسول الله ﷺ أنه كافرٌ بالإجماع، ومن ادَّعى الرسالة أو النبوة بعد محمد ﷺ فقد أجمع أهل العلم على كُفره، وما ذكره الشيخ أن الصحابة كلهم قد أجمعوا على كفر بني حنيفة وقتالهم واستباحة دماءهم وأموالهم؛ لأجل أنهم قالوا: أن مسيلمة رسولًا مع رسول الله ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، ويشهدون أن محمدًا رسول الله، ويُصلون، ويتصدقون، ويصومون، ومع ذلك أجمع الصحابة على كفرهم، وعلى قتالهم.

يقول الشيخ: **"فإن قال: إنهم يقولون مسيلمة نبي"**، وهو يُقرُّ بذلك أنهم إنما كفروا؛ لأنهم قالوا: إن مسيلمة نبي، فيقول: وهذا هو المطلوب فإذا كان يكفر من نزَّل مخلوقًا منزلة مخلوق، فمن باب أولى أن يكفر من نزَّل مخلوقٌا منزلة الخالق، أيهم أعظم كُفرًا؟ من يُنزِّل بشرًا منزلة البشر، وأن يقول: هذا فلانٌ رسول كما أن محمدًا ﷺ رسول، فهو ينزل بشر مكان بشر، أو الذي يُنزِّل البشر منزلة رب البشر سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، الملك الجبار لا شك أن من أنزل المخلوق منزلة الخالق أعظم كُفرًا وأعظم شِركًا وأعظم باطلًا من الذي يُنزِّل مخلوقًا منزلة مخلوق.

فإذا كان هؤلاء كفروا بإنزالهم مسيلمة منزلة النبي ﷺ فكيف لا يكفر الذي يُنزِّل هؤلاء الصالحين أو الأولياء بمنزلة رب السماوات والأرض في صرف الإلهية إليهم، وعبادتهم ودعائهم من دون الله ﷻ.

## • المتن •

يقول الشيخ: **إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحلَّ ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان، أو يوسف، أو تاج، أو صحابيًّا أو نبيًا في رتبة جبَّار السماوات والأرض، سبحان الله ما أعظم شأنه!**

## • الشرح •

يقول الشيخ: إذا كان الذي نزَّل مسيلمة منزلة محمد ﷺ كفر بالإجماع مع أنه ينطق بالشهادتين ويُصلي، ويصوم، وكفر بهذا الإجماع، فكيف بمن يُنزِّل تاج؟ وتاجٌ هذا كان رجل من أهل الخرب، وكان أعمى البصر والبصيرة، وكان فاجرًا ضالًّا، وكان الناس يخافونه ويدفعون له الأموال خشية أن يسخط عليهم، ويدعونه، ويرجونه، ويخافونه، ويتقربون إليه كما يُتقربُ لله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

وأما شمسان: فهو رجل من أهل العارض أيضًا وكان يُعتقد فيه الباطل والكفر، وكان يُعتقد فيه أنه ينفع ويضر مع الله ﷻ، فكان يُدعى ويُسأل ويُذبح له ويتقرب إليه بأنواع القُرب، وكذلك شمسان كان من أهل الإحساء، وكان يُعتقد فيه وفي أهل بيته، أنهم محل قبول القُرب، ومحل قبول الدعوات، وأنهم يستجيبون الدعوات، ويرفعون البلاء والضر، فإذا كان هؤلاء الذين يُنزلون الحاجات بهؤلاء، ويعبدونهم ويدعونهم ويرجونهم لا يكفرون ويكفر الذي نزَّل بشرًا محل بشر، هذا تناقضٌ وجهلٌ عظيم.

فمن نزَّل مخلوقًا كفر، ومن نزَّل مخلوقًا مكان الخالق لا يكفر، هذا هو التناقض، فالشيخ يريد أن يُبيِّن أن الصحابة كفَّروا بالإجماع، وقاتلوا واستحلوا الدماء والأموال، لأنهم أنزلوا بشرًا محل النبي ﷺ بدعوى أنه رسول، فمن باب أولى، وهذا محلُّ إجماع، قياس الأولى محل إجماع، أن من أنزل مخلوقًا محل الخالق أو برتبة الخالق أو فيما يستحقه الخالق سُبْحَانَهُ وتَعَالَى أن كفره أعظم، وأن نطقه بالشهادتين لا ينفعه.

## • المتن •

قال: **فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيًا أو نبيًا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض، سبحان الله، ما أعظم شأنه!** ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٥٩].

## • الشرح •

أي أن الله قد طبع على قلوب هؤلاء، فلا يُميزون حقًّا من باطلًا، ولا يتدبرون الآيات والأدلة فهم في غيِّهم، وفي عمئهم يعمهون نسأل الله العافية والسلامة.

قال: **ويقال أيضًا هذا الدليل الثاني أو الحُجة الثالثة على هذا الضال.**

ويُقال أيضًا: الذين حرَّقهم عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- من الغُلاة، الذين قالوا: أنت إلهنا وأنت ربنا، ودعوه من دون الله ﷻ كفَّرهم عليٌّ وكفَّرهم الصحابة بالإجماع، واستحلوا دمائهم وقتلوهم بل خدَّد علي بن أبي طالب الأخاديد، وأمر قَنبر وهو مولاه، أن يُخِّد الأخاديد وأن يُشعلها نارًا ثم أمر من قرَّ له أنه إله أن يُلقى في النار هذه ويُقتل، وقد وافقه الصحابة على قتلهم، واتفقوا على قتلهم إلا أن ابن عباسٍ وغيره قد أنكر عليه فقط إحراقهم بالنار؛ لأنه لا يُحرق بالنار إلا ربُّ النار سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وإلا الصحابة مجمعون على أن من أنزل عليًّا إلها، وجعله بمنزلة الإله يُعبد ويُدعى ويُرجى أنه كافر بالله ﷻ.

وهذا المعتقد الخبيث وهو تنزيل عليٍّ منزلة الإله الرب هو معتقد النصيرية، والدروز، والإسماعيلية، والرافضة لعنهم الله ﷻ، فإنهم يُنزلون عليًّا منزلة الله بالدعاء، والرجاء، والسؤال، والخوف، والذبح، والتقرب، ويقولون: أن عليًّا هو الذي ينفع ويضر، وهو الذي يستجيب الدعاء، وهو الذي يدخل الناس الجنة والنار، وأن أهل بيته ينفعون ويضرون، بل لهم من القِصص في هذا ما تشيب له الرؤوس، وما يضحك منه العوام والناس؛ لأن عندهم من الخُزعبلات، ومن الكذب والافتراء ما لا ينطوي إلا على الجهلة والعوام الذي لا يفقه إلا على المجانين، وعلى السُفهاء من الناس.

## المتن

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **وهم من أصحاب عليٍّ رضي اللّه تعالى عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليّ مثل ما اعتقد، مثل الاعتقاد في يوسف، وشمسان، وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وعلى كفرهم، أتظنون أن الصحابة يُكفرون المسلمين؟**

## الشرح

حاشا وكلا، وإنما كفَّروا من كفَّره الله ورسوله، واستحلوا دماء من أحل الله دماءهم وأحلها أيضًا رسولنا ﷺ.

## • المتن •

ثم قال: **أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في عليٍّ بن أبي طالبٍ يُكفِّر؟**

## • الشرح •

هذا أيضًا من الباطل ومن التناقض العظيم، قال أيضًا: **"ويُقال أيضًا"** إلى الآن ذكر كم شبهة؟

- **ذكر تكفير من آمن ببعض القرآن وأنكر بعضه.**

- **وذكر أيضًا قتال الصحابة لبني حنيفة.**

- **وذكر أيضًا قتال الصحابة لمن غلوا في عليٍّ وأنزلوه منزلة الإله.**

- **والوجه الرابع**: قوله: **"ويُقال أيضًا: بنو عبيد بن القدَّاح الذين ملكوا المغرب ومصر"** ما يقارب مائة وثمانين عامًا، وهم كفَّارٌ بإجماع أهل العلم، وقد نقل الإجماع على كُفرهم، عامة علماء وقتهم؛ فإنهم استحلوا المحرمات، وأباحوا الشرك والكفر في أرض الله ﷻ، وقد اتفق المسلمون على وجوب قتالهم، وعلى إخراجهم، وأنزلوا دارهم دار حربٍ ودار كفر، لا دار إسلام؛ لأن الكفر قد ظهر فيها، وانتشر وأصبح الكُفر هو الظاهر، وأصبح أهل الإسلام لا يستطيعون أن يُظهروا توحيدهم، ولا دينهم، وأي بلدٍ وأي أرضٍ ظهر الكفر فيها وانتشر وأصبح الكفر هو الظاهر فإنها لا تسمى دار إسلام، وإنما تسمى دار كفر، وتسمى دار حرب.

فالعبرة: بما يظهر بالقوة وينتشر بين الناس، إن كان الكفر هو الذي يظهر، وهو الكفار يُظهرون كُفرهم وشركهم بالقوة ولا يستطيع أهل التوحيد أن يُنكروا عليهم، ولا يستطيعوا أن يُغيروا عليهم، فإن دارهم دار كفرٍ، ودار شرك بالله ودار حربٍ، لا يجوز البقاء فيها، ويجب الهجرة منها.

فالعلماء أنزلوا دار مصرٍ دار حربٍ ودار كفر، لما ظهر فيها الكُفر، وظهر فيها الرفض، ورفض الإسماعيلية والباطنية من القرامطة ومن النصيرية الذين استحلوا المحرمات، وألَّهُوا عليًّا وجعلوه إلهًا مع الله ﷻ.

انعقد إجماع أهل العلم على وجوب قتالهم وتكفيرهم، مع أنهم ينتسبون إلى فاطمة كذبًا وزورًا، وينتسبون إلى الإسلام، وينطقون بالشهادتين، ويشهدون أن لا إله إلا الله، وكان لهم مؤذنون، وكان لهم

خُطباء، وكان لهم أئمة، وكانوا يُصلون؛ لكنهم خالفوا دين الله ﷻ وأحلُّوا ما حرمه الله ﷻ، وأباحوا الشرك والكفر في أرضهم، فكفَّرهم المسلمون وأوجبوا قتالهم، كما نقل ذلك الإجماع أبو بكر الباقلاني، ونقله أيضًا شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

## المتن

قال فيه: **أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.**

## الشرح

والأرض تنقسم إلى قسمين:

- أرض إسلامٍ.
- وأرض حربٍ.

فالأرض الذي تظهر فيها أحكام الإسلام، ويظهر فيها التوحيد، ويكون القوة لأهل ولأهل التوحيد فإنها تسمى دار إسلام، ودار سِلمٍ، وأما الدار التي يظهر فيها الكفر، ويظهر فيها الشرك بالقوة ولا يستطيع أهل التوحيد إنكار على أهل الشرك شركهم ولا على أهل الكفر كفرهم، فإنها تكون دار كُفرٍ ودار حرب.

## • المتن •

قال أيضًا: **ويقال أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشِّرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وإنكار البعث.**

## • الشرح •

**هذا الوجه السادس**: إذا كُنتم تقولون: أن هؤلاء الذين كفروا في زمن النبي ﷺ إنما كفروا بإنكارهم البعث، وتكذيبهم الرسول ﷺ وشركهم بالله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، ولم ينطقوا بالشهادتين، فالجواب: فما تقولون في الباب الذي يعقده العلماء في كُتب الفقه "باب أحكام المرتد"، ويذكرون أقوالًا، وأفعالًا، واعتقاداتٍ، يكفر بها القائل، مع أنه يُسمى قبل ذلك مسلم، ويُسمى ناطقًا بالشهادتين، وداخلًا في دائرة الإسلام.

فدل هذا أن أهل العلم يُكفرون من نطق بالشهادتين بكلمة يقولها، أو بفعل يفعله، ولم ينفعه نطقه بالشهادتين، إذا الشهادتان لا تنفع إلا من حققها وأتى بشروطها وأركانها وأتى بحقها، الذي هو ألا يرتكب ناقضًا ينقضها، ولا يأتي بناقضٍ يُبطلها، أما إذا حققها فهي التي تنفعه، وتوجب له دخول الجنة وعدم الخلود في النار إن دخل النار، فهذه هي الكلمة التي ستنفعه، أما إذا قال: **«لا إله إلا الله»**، وفعل فعلًا يُناقضها أو قال قولًا يناقضها، أو اعتقد اعتقادًا يُناقضها، فإن هذه الكلمة لا تنفعه.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

في كل مذهب وهو باب حكم المرتد، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوعٍ منها يُكفِّر ويُحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة، أي: أنهم توسعوا في باب التكفير، حتى أنهم ذكروا أشياء قد تغيب عن الذهن، حتى ذُكر أن أبا يوسف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يقول: من قال أني أكره الدُّباء كفر؛ لأن هذه يُحبها النبي ﷺ، وقد نقل عن بعض الأحناف أنه كفَّر من قال: مُسيجد تصغيرًا لكلمة مسجد؛ لأن فيها امتهانًا لبيت من بيوت الله ﷻ ولشعائر الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

فإذا كان أبو يوسف يُكفِّر من قال: أنا أكره القرع؛ لأن النبي ﷺ يُحبه، فكيف بمن يترك التوحيد، ويعبد غير الله، ويدعو الصالحين والأولياء؟! لا شك أن كفره أعظم، فإذا كان من كره القرع عند أبي يوسف مع أنه يعلم ما عند أبي يوسف بقصد أنه يكرهه؛ لأن النبي ﷺ يحبه، فكيف بمن ترك التوحيد؟!

إذا كان أهل العلم ذكروا أن من جحد شيئًا من الواجبات كفر بالإجماع، وقالوا: أن من سبَّ الله كفر بالإجماع، ومن سبَّ الرسول كفر بالإجماع، ومن استهزأ بالدين كفر بالإجماع، ومن تنقص النبي ﷺ كفر بالإجماع، ومن ترك أي شريعة من شرائع الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، وتركها جاحدًا لوجوبها أو ممتنعًا من الالتزام بها، كفر بالاتفاق، فكيف لا يُكفَّر من ترك التوحيد وعبد غير الله أو دعا غير الله، أو صرف العبادة لغير الله ﷻ؟!

وهؤلاء الذين كفَّرهم أئمة الإسلام، وعقدوا أبوابًا في تكفيرهم، لم يقولوا: أن هؤلاء، أنهم ينطقون بالشهادتين، فلا يكفروا؛ لأنهم ينطقوا بالشهادتين، بل كفَّروهم مع نطقهم بشهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله.

## • المتن •

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **ثم ذكروا أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.**

## • الشرح •

ومعنى قوله: يقول كلمةً **"بلسانه دون قلبه"**، أن من قال كلمة الكُفر قاصدًا للفظها، لا قاصدًا لحُكمها أنه يكفر، فالعبرة في الألفاظ والأقوال القصد، هو أن يقصد القول، أو أن يقصد الفعل، فمن قصد قولًا أو فعلًا يكفر به، وإن كان جاهلًا أنه يُكفَّر بهذا القول، أو أنها هذا القول يكفر به، فإن أهل العلم متفقون على تكفيره وإخراجه من دائرة الإسلام، كما ذكر الله ﷻ عندما قال سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[التوبة: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٦].

وهؤلاء الذين كفَّرهم الله ﷻ إنما قالوا كلمات، وهي قولهم: ما رأينا مثل قُرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، وأجبن عند اللقاء، وقالوا: يا رسول الله ما أردنا شيئًا، إنما أردنا أن نقطع عنا عناء السفر، وأن نقطع عناء الطريق، قال: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، وهذا الحال دليل على ما عليه أهل السُنة: أن الرجل يكفر بقوله، ويكفر بفعله، ويكفر باعتقاده، وأما قول الجهمية أن المسلم لا يكفر إلا بالاعتقاد، فهذا قولٌ باطل.

فهؤلاء الذين كفروا باستهزائهم، لم يقولوا: لم نعتقد ذلك، وإنما قالوا: إنما قلنا ذلك على أي وجه؟ على وجه قطع المسافة، وعلى وجه التآنس، فقال الله فيهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٦]، فهذا يؤخذ منه دليل على أن القول يُكفَّر به، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[التوبة: ٧٤]، فذكر أنها كلمةً كفروا بها، ولم يرد هذا إلى اعتقاد قلوبهم، ولا إلى ما انطوت عليها قلوبهم، وإنما كفَّرهم بمجرد الكلمة فمن قصد لفظًا يُكفَّر به كفَر وإن لم يقصد الكفر، وإن لم يعلم بأنه يُكفَّر، وأنه يُكفَّر بهذا القول، فإنه يكفر؛ لأنه قصد اللفظ والفعل، فيُكفَّر بما قصد.

## • المتن •

قال ويُقال أيضًا: **وهذا الدليل السابع: ويقال أيضًا الذين قال الله فيهم:** ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[التوبة: ٧٤]، **أما سمعت الله كفَّرهم بكلمةٍ مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويُجاهدون معه، ويُصلون، ويُزكون، ويحجون ويوحدون.**

## • الشرح •

أي أنهم يقولون: **«لا إله إلا الله»** بألسنتهم، ويشهدون أن محمدًا رسول الله، ومع ذلك كفَّرهم الله ﷻ، وكفَّرهم رسوله ﷺ، إلا أنه تاب وصلح إسلامه وحسن إيمانه فتاب بعد ذلك.

والقصة: أن عمير بن سعد -رضي الله تعالى عنه- كان يرى عمه الجُلاس بن سويد، وكان الصحابة يتهيؤون لغزو الروم، وهي غزوة تبوك، وكان الجُلاس غير مبالٍ، فقال يا عم: ما لي أراك غير مُبالٍ بتجهيز نفسك للجهاد مع رسول الله ﷺ؟ فقال الجُلاس: إن كان محمدٌ صادقٌ فيما يقول: فنحن شرٌّ من حمير، فلما سمع الغلام هذه الكلمة انطلق إلى رسول الله ﷺ مع أن هذا الرجل كان له هو محسنًا، وكان له كافلًا، ولكن تعظيم الله في قلب هذا الصبي كانت أعظم من تعظيم قلب عمه، ومن ولي نعمته، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله إن عمي يقول كذا وكذا، فأنكر وكذَّب، وقال: كذب عليَّ هذا الغلام، يقول: فأخذني بذلك مأخذٌ عظيمٌ، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[التوبة: ٧٤]، فصدَّق الله أذن عُمير بن سعد رضي الله تعالى عنه، وذلك الذي قال تلك الكلمة، تاب إلى الله ﷻ، ويُذكر أنه حسن إسلامه، وكان قبل ذلك منافق، فكان يقول هذا الذي أنقذني الله به من النار لما أنزل الله هذه الآية.

فإذا كان هذا الرجل في ظاهره ينطق بالشهادتين، ويُصلي ويُزكي، ومع ذلك كفَّره الله ﷻ لمَّا قال: لو كان محمدٌ صادقٌ فيما يقول فنحن شرٌّ من حمير، هذه الكلمة كفر بها وخرج من دائرة الإسلام، إلى أن تاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

## • المتن •

**قال: وكذلك الذين قال الله فيهم:** ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥، ٦٦].

## • الشرح •

هذه الآية نزلت في أُناس خرجوا مع النبي ﷺ كما جاء عند ابن جرير الطبري من حديث هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر، أن أُناسًا خرجوا مع النبي ﷺ فلما كانوا في الطريق، قال بعضهم لبعض وكانوا ثلاثة، منهم عوف بن مالك الأشجعي، قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، وأجبن عند اللقاء، تأمل! هؤلاء خرجوا مجاهدين مع رسول الله ﷺ، وكانوا يُصلُّون، ويزكُّون، ويصومون، ويحجُّون، ويتقربون إلى الله بأنواع القُرب، وكانوا ينطقون بالشهادتين قبل ذلك، ويشهدون لله بالتوحيد، ولرسوله ﷺ بالرسالة، ولكن لمَّا قالوا هذه الكلمة: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء مستنقصين رسول الله ﷺ وأصحابه، قال الله فيهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥].

مع أنهم اعتذروا بقولهم: يا رسول الله ما قصدنا شيء، وإنما أردنا قطع الطريق عنا بها الحديث، وإنما هو حديث الركب، أي أنه يتكلم بكلام لا يقصد معناه، ولا يقصد حقيقته، قال الله فيه: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥]، فكفرهم الله بكلمة قالوها على وجه المزح واللعب والاستهزاء، ولم تنفعهم كلمة التوحيد، ولم ينفعهم قوله: لا إله إلا الله، وشهادتهم أن محمدًا رسول الله ﷺ.

## • المتن •

ثم قال بعد ذلك: **فتأمل هذه الشُبهة، وهي قولهم تُكفِّرون من المسلمين أُناسًا يشهدون «أن لا إله إلا اللّه» ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها.**

## • الشرح •

أي أن ما ذكرت من هذه الأجوبة، وهي سبعة أجوبة على هذه الشُبه أن من أنفع ما يحتاجه طالب العلم ومن أنفع من يحتاجه من يُخاصم الخصوم ويُجادلهم، فإن هذه الشُبه هي أعظم شُبهة يتعلق بها القبوريون والمشركون، ويُدندن حولها دائمًا من يرى ومن ينسب أهل التوحيد إلى أنهم خوارج، ويُكفِّرون أهل الإسلام، فهذه الدعوى قد أُلقيت على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

ووُصف أصحابه وأتباعه بأنهم خوارج يُكفِّرون المسلمين بهذه الدعوى، وهي قولهم: أن الناس يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وكيف تكفِّرون من نطق بالشهادتين، وأن كفار قريشٍ، إنما كفروا بتكذيبهم الرسول، وعدم نطقهم بالشهادة.

فذكر سبعة أوجه من الأدلة تدل على أن الرجل يكفر بكلمة يقولها أو بفعلٍ يفعله مع أنه ينطق بالشهادتين، ويُصلي ويصوم ويُزكي فهذا من أنفع ما يحتاجه الطالب.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **ومن الدليل على ذلك أيضًا ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى:** ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[الأعراف: ١٣٨].

**وقول أناس من الصحابة: «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل:** ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾[الأعراف: ١٣٨].

## • الشرح •

ولكن هذه الحُجَّة أيضًا هذا دليلٌ على أن الذي يطلب أن يُجعل له من يتبرك به، ومن ينوط به أسلحته، ويعكف حوله، أنه بهذا الطلب قد طلب أن يجعل مع الله إلها آخر، وأما هؤلاء اليهود الذين كانوا مع موسى عليه السلام لم يُكفَّروا؛ لأنهم كما قال شيخ الإسلام في خاتمة هذا الكتاب: أنهم لم يفعلوا وإنما طلبوا، والكفر هنا متعلق بالفعل، لا بالطلب؛ إذ لو كان طلبهم كفرًا أو قولهم كفرًا لكفروا بقولهم، وإنما كان الكفر بالفعل، أن ينوطوا أسلحتهم، وأن يتقربوا لهذا الإله، قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فلما نبههم موسى عليه السلام، قال: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف:١٣٨]، تنبهوا وعلموا أن قولهم هذا قولًا باطلًا، وأنه لا يصدر إلا عن جاهل بالله ﷻ لا يقدر الله حق قدره، ولا يُعظِّمه حق تعظيمه.

وكذلك الذين كانوا في زمن النبي ﷺ عندما قالوا يا رسول الله: **«اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط»**[1]، وهذا حديث رواه الإمام أحمد والترمذي، من حديث الزهري عن أبي سنان الدؤلي، عن أبي واقع الليثي: **«أنهم خرجوا مع النبي ﷺ ونحن حديثو عهد بإسلام، فمررنا على المشركين، فمررنا بسدرةٍ، كان يعكف حولها المشركون، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا إله كما لهم آلهة»**، وهذا إسناده جيد، وإسناده صحيح.

فإن أبا سنان الدؤلي أخرج له مسلم في أصوله، وأخرج له البخاري في شواهده، وقد روى عنه زيد بن أسلم، وهو إمام من أئمة أهل المدينة، وروى عنه أيضًا ابن شهاب، فلا علة فيه من جهة إسناده، ولا علة فيه

---

(١) الترمذي (٢١٨٠).

أيضًا من جهة متنه، بل معناه: أن هؤلاء إنما طلبوا التبرك بهذه الشجرة، أو أن يقال: أنهم طلبوا ولم يفعلوا، ولما نبههم النبي ﷺ تنبهوا وتابوا إلى الله ﷻ، ووصفهم النبي ﷺ **«إنكم قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى، اجعل لنا إله كما لهم آلهة»**.

فهذا دليل على: أن من طلب هذه الأمور أو أرادها أنه يكفر لو فعل، ولو كانوا أصحاب النبي ﷺ، ولو كانوا أصحاب موسى عليه السلام، فلا يرفع الكفر الوقوع فيه إلا التوحيد والتوبة إلى الله ﷻ.

**والشاهد من هذا الإيراد**: أنه أراد أن يُبيِّن أن من وقع في الكفر أنه يكفر، ولو كان صحابيًّا، ولو كان من أتباع موسى عليه السلام، فإن الكُفر لا يدفعه إلا التوحيد، ولا يرفعه إلا التوبة إلى الله ﷻ، أما أن يرفعه نسبٌ أو حسبٌ أو عمل، فلا، وإنما يرفعه التوبة والتوحيد والرجوع إلى الله ﷻ.

## • المتن •

قال: **الفصل الثالث عشر حكم من وقع من المسلمين في نوع من الشرك جهلا ثم تاب منه.**

**ولكن للمشركين شُبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا، وكذلك الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا.**

## • الشرح •

هذه الشُبهة يتعلق بها من يعذُر بالجهل، ويتعلق بها أيضًا القبوريون والمشركون، **فالجواب على هذه الشبهة**: لماذا لم يكفر بنو إسرائيل الذين قالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة؟

**والجواب على هذه الشُبهة**: **أولا**: أن هؤلاء طلبوا وسألوا، والكفر هنا ليس في الطلب والسؤال، وإنما هو بالفعل، حيث أنهم لو طافوا بها وعكفوا حولها، وفعلوا الكفر لكفروا بالإجماع ولكنهم طلبوا، والطلب هنا ليس كفرًا، خاصةً أنهم طلبوا المُشرِّع، وهو موسى عليه السلام، ولو أجاز لهم ذلك لجاز وحاشاه، فدل هذا أن طلب الكفر، أن طلبهم هذا ليس بكفر، وإنما هو كبيرة من كبائر الذنوب، وذلك أن الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لم يأمرهم بتوبة، ولم يذمهم بهذا السؤال في غيرها كما ذمهم عندما اتخذوا العجل، فأخبر الله ﷻ أن يتوبوا، وأن يقتلوا أنفسهم، وأما في هذا الطلب لم يذكر الله أنه كفَّرهم، ولم يُذكر أنهم أيضًا: أن موسى كفَّرهم بهذا القول، وإنما قال لهم: إنكم قومٌ تجهلون.

**والجواب الثاني**: أنهم طلبوا المشابهة، المشابهة بالتبرك، لا في حقيقة العبادة وصرفها لغير الله ﷻ، وهذا القول ذكره الشاطبي في «الاعتصام»، ومال إليه شيخ الإسلام في «الصراط المستقيم»، وهذا قولٌ وجيهٌ أيضًا، لكن الذي مال له شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب ومال له الشيخ سليمان -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: أن هؤلاء طلبوا ولم يفعلوا، ولو فعلوا لكفروا، وإنما سألوا، وأن الرجل قد يغيب ذهنه وقد لا يتنبه عن كلمةٍ يقولها وهو لا يدري أنها من الكفر، وأنها من الشِرك، وأنها مما لا يجوز، فإذا نُبه تنبه فتاب إلى الله ﷻ من هذا القول، وهذا الذي هو الذي وقع مع أصحاب موسى وأصحاب محمد ﷺ.

**فالجواب**: أن نقول: أن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا أي: اتخذوا إلها مع الله لكفروا، وهذا بالإجماع.

وكذلك الذين نهاهم النبي ﷺ عن اتخاذ ذات أنواط، لو اتخذوا ذات أنواط وعكفوا حولها وتبركوا بها، لكفروا أيضًا بالإجماع، وإنما لم يكفروا؛ لأنهم لم يفعلوا وإنما طلبوا هذا وقولهم هذا مُحرَّم وكبيرة من كبائر الذنوب، ولا يجوز أو أنهم تأولوا أن هذا جائزًا وأنه إذا سألوا الشارع فأجاز لهم ذلك لجاز، فهذا الذي يرفع عنهم الكفر، رضي الله تعالى عنهم.

**ولكن هذه القصة تفيد**: أن المُسلم بل العالم يقع في أنواعٍ من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرُّز، أي أن هذه القصة تفيدنا التعلُّم، وتفيدنا التحرُّز، وأن نحفظ ألسنتنا وأن نحفظ أفعالنا أن نقع في شيء من الشرك ونحن لا نعلم، فإذا كان أصحاب موسى جهلوا مثل هذا الأمر، وأصحاب محمدٍ ﷺ جهلوا مثل هذا الأمر، فمن باب أولى: من أتى بعدهم في هذه الأزمنة، فإن هذه الأزمنة يكثر فيها تعاطي الكفر والشرك، والوقوع في ما حرَّم الله ﷻ من تقربٍ للسحرة والكُهَّان والجن والشياطين، بذبح ذبائح لا يُذكر اسم الله عليها، أو عندما يفتح منزلًا أو بيتًا أو سوقًا أو منتجعًا، تجده يذبح ذبيحةً ولا يذكر اسم الله عليها تقربًا للجن، وهذا كثيرٌ كما ذكرنا فيما سبق.

## • المتن •

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **ومعرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه) أن هذا من أكبر الجهل.**

## • الشرح •

فإن التوحيد يحتاجه العبد في كل أحواله، ودعوى أن التوحيد فهمناه هذا لا يقولها إلا جاهل، فإن صور الشرك لا حصر لها، ولا عدد لها.

وهي تتنوع وتتغير من زمانٍ إلى زمان، فينبغي على طالب العلم أن يعتني بالتوحيد، وأن يهتم له، وأن يهتم به، وقد ذُكر في ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أن هذه المقولة قالها عندما سأله رجل بعدما أنهى «كتاب التوحيد»، فقال: يا شيخ لو قرأنا في كتاب من الفقه، أو قرأنا في شيء من الحديث، فقال: حسنًا سأرى، فلما أتى من الغد، جاءه وهو متغير الوجه، متغير الحال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فقالوا: ما لك يا شيخ؟ قال: لقد سمعت خبرًا في أطراف الدرعية أن رجلًا زنا بأمه، فتعاظموا ذلك، وهموا أن يقوموا إلى قتله وإلى أن يفعلوا به.

فقال: لا تعجلوا: فقد أرسلت من ينظر الأمر، وأنا أنتظر بأي شيءٍ يرجع، فلما كان إذا بالرجل قد أتى فقال يا شيخ: الذي ذُكر له أنه وقع على أمه لم يقع على أمه، وإنما ذبح شاة عند عتبة بابه، فقالوا: الله أكبر الله أكبر الحمد لله، فأصبحت الكبيرة في قلوبهم أعظم من الشرك بالله ﷻ، ولا شك أن من يتعاظم الكبائر أعظم من الشرك بالله ﷻ فإن التوحيد لم يفهمه، ولم يعرفه، فدل هذا: أن التوحيد يحتاج إلى فهم، وإلى دراسة، وإلى تدبر، وإلى إعادة نظر وإلى النظر في مسائله وصوره، وأيضًا إلى النظر في الشرك وأنواعه وصوره، حتى لا يقع العبد في الشرك وهو لا يدري.

وتفيد أيضًا: أن المُسلم المجتهد، إذا تكلم بكلام كفرٍ، وهو لا يدري فنُبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يُكفَّر، أي إذا قال الرجل كلمة كفر، وهذه كلمةَ كفرٍ فنُبه فتاب إلى الله ﷻ فإنه لا يُكفَّر؛ لأنه تاب ورجع إلى الله ﷻ، حتى المستهزئ إذا كفر باستهزائه ثم تاب إلى الله ﷻ فإن الله يقبل توبته إلا إذا كان استهزاؤه تنقصًا للنبي ﷺ فإن الصحيح من أقوال أهل العلم: أنه يُقتل ردةً وحدًّا، ويكون توبته بينه وبين الله ﷻ

كما هو في حال الساحر أيضًا، وتفيد أيضًا: أنه لو لم يكفر فإنه يُغلَّظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا، كما فعل النبي ﷺ.

۞۞۞

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

هذه هي الشُبهة الأخرى للعلماء التي يُدليها العلماء على شيخ الإسلام وأتباعه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وشبهتهم هذه تتعلق بالقتال، كيف تقاتلون وتقتلون من ينطق بالشهادتين؟ واستدلوا بأدلة على هذه الدعوى وعلى هذه الشُبهة، وأول أدلتهم ما جاء في الصحيحين، أن أسامة بن زيد -رضي الله تعالى- عنه قتل رجلًا بعدما قال: **«لا إله إلا الله»**، فقال النبي ﷺ **«أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله»**[1]، فعابه وشنع عليه القول ﷺ، فقالوا: هذا دليل على أن الناطق بالشهادتين أنه لا يُقتل.

واحتجوا أيضًا بحديث أبي هريرة وجاء في الصحيحين، أن النبي ﷺ قال: **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»**[2]، فقالوا: إذا نطقوا بالشهادتين فلا يجوز قتالهم، هذه أدلتهم وهذه هي شُبهتهم.

وهذه الشُبهة شُبهةٌ باطلة، وقد رد عليها شيخ الإسلام بالأدلة والأوجه التي ذكرها في حكم التكفير، فذكر أيضًا هنا: أن الصحابة قاتلوا من كفَّروا، فكما ذكر أنهم كفَّروا بني حنيفة، وكفَّروا بني عبيدٍ القدَّاح، وكفَّروا من غلا في عليٍّ رضي الله تعالى عنه، وذكر أشياء كثيرة تنزَّل هذه الأدلة أيضًا في مسألة التكفير، في مسألة القتال، لمن كفَر بالله ﷻ، ومما يدل على ذلك، أو يُرد على هذه الشُبهة:

**أولًا نقول**: أن في شريعة الإسلام أن الزاني المُحصَن إذا زنا، وثبت زناه بالبينة أنه يُرجم ويُقتل مع أنه ينطق بالشهادتين، ولم تَدفع الشهادة عنه القتل.

أيضًا: أن الذي يفعل فعل قوم لوط، ويقع ويفعل فعل الفاحشة أنه يُقتل كائنًا من كان.

---

(1) البخاري (٤٠٢١)، مسلم (١٧٠).

(2) صحيح البخاري (١/ ١٤)، صحيح مسلم (١/ ٥٣).

وأيضًا: أن القصاص يوجب قتل النفس مع أنه ينطق بالشهادتين، فهناك أمورٌ توجب دم المُسلم ويُقتل بها، مع أنه ينطق بالشهادتين هذا أولًا.

**ثانيًا**: أن الذي نطق بالشهادتين إنما تعصمه الشهادتان متى؟ إذا حقق شروطها، وأتى بأركانها، وأتى بمعناها، فإنها تعصمه، أما من نطق بالشهادتين نطقًا بلسانه، وخالفها بفعله، وأقواله، وأفعاله فإنها لا تعصمه.

ولذلك لما قال عمر بن الخطاب: كيف تقاتل الناس وهو يشهدون أن لا إله إلا الله؟ قال: والله لأقاتل من فرَّق بين الصلاة والزكاة، وأخبر أن النبي ﷺ قال: **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، إلا بحقها وحسابهم على الله ﷻ»**.

ومن حق لا إله إلا الله، أن يحققوا شروطها، وأن يأتوا بأركانها، أما إذا فعلوا خلاف ذلك فإنهم يُقتلون ويُكفَّرون ويستباح بذلك دماءهم وأموالهم.

## • المتن •

ثم قال الشيخ: **فيقال لهؤلاء المشركين الجُهَّال معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهو يقولون: (لا إله إلا الله).**

## • الشرح •

هذا جواب، اليهود يشهدون **«أن لا إله إلا الله»**، والنبي ﷺ قاتلهم وسباهم، وأخذ أموالهم وغنمها ﷺ وأن أصحاب رسول الله أيضًا قاتلوا بني حنيفة، واستحلوا دمائهم وأراضيهم، مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وكذلك الذين حرَّقهم علي -رضي الله تعالى عنه- قتَّلهم عليٌّ وحرَّقهم بالنار مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله.

وهؤلاء الجُهَّال الذين أنكروا البعث كفروا وقُتلوا، وهؤلاء الجهلة أي من دعاة، ومن دعاة عُبَّاد القبور يقرُّون أن من أنكر البعث كفر وقُتل عند من يقول: من ينطق بالشهادتين لا يكفر، حتى هؤلاء يُجمعون على أن من أنكر البعث أنه يكفر ويُقتل، ويُجمعون أيضًا على أن من جحد وجوب الصلاة أنه يكفر ويُقتل، فلم تنفعه الشهادتان مع أنه نطق بـ **«لا إله إلا الله»**، إذًا لا تنفع **«لا إله إلا الله»** إلا من حقق شروطها وأتى بأركانها وعمل بمقتضاها، أما إذا نطق بها وخالف مقتضاها ومعناها، فإنها لا تَعصِم دمه، ولا تعصم ماله.

## • المتن •

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **ولو قالها: فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد.**

## • الشرح •

الشيءُ العجيب، لا تنفعه إذا جحد وجوب الصلاة، وتنفعه إذا جحد التوحيد، لا شك أن جحود التوحيد أعظم من جحوده لأمر الصلاة، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

أما حديث أسامة فمعناه: أن الرجل نطق بالشهادة والواجب على من نطق بالشهادة أن يُنتظر، وأن يُنظر له فإن أتى بشروط **«لا إله إلا الله»** وأتى بمقتضاها فإنه يكون مسلمًا، ويعامل معاملة المسلمين، أما إذا نطق بالشهادتين ثم مضى عليه وقت ولم يعمل بالإسلام، لم يُقرَّ بصلاة، ولم يُقرَّ بصيام، ولم يُقرَّ بزكاة فإنه يكفر ويقتل مع أنه نطق بالشهادتين، فالنبي ﷺ أنكر على أسامة تَعجُّله بقتله، قبل المعرفة، هل هو قالها صادقًا أو قالها كاذبًا؟

فإذا قال الكافر الأصلي: أشهد أن لا إله إلا الله كففنا عنه، ومسكنا عنه، ولم يحل لنا قتله، حتى ننظر ماذا يؤول أمره إليه، فإن أقرَّ بهذه الشهادة وأتى بشروطها وأركانها فإنه هو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا.

أما إذا لم يأت بشروطها وأركانها ولم يُحقِّق معناها فإن الكفر باقٍ عليه ويقتل ولو نطق بالشهادة ويُنزَّل منزلة المرتد، الذي يُستباح دمه بردَّته، نسأل الله العافية والسلامة.

## • المتن •

فقال هنا رحمه الله: **والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يُخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾[النساء: ٩٤]، أي فتثبتوا.

## • الشرح •

فإذا نطق الرجل بالشهادتين فإنه يُكفُّ عنه حتى يأتي بما يُخالفها أو يناقضها، وأمثالها ومعناها ما ذكرناه أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكفُّ عنه إلى أن يتبين ما يُناقض ذلك.

## • المتن •

قال: **والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال: «أقتلته بعد ما قال (لا إله إلا الله)»، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، هو الذي قال في الخوارج «أينما لقيتموهم فاقتلوهم».**

## • الشرح •

أي: أن الخوارج مع أنهم يشهدون **«أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»**، ويصلون، ويصومون، ويحجون، ويزكون، بل أن الصحابة كانوا يحقرون أعمالهم إلى أعمالهم، وصيامهم إلى صيامهم، وقيامهم إلى قيامهم، ومع ذلك أمر النبي ﷺ بقتالهم ولم ينفعهم نطقهم بالشهادتين.

والخوارج وقع فيهم خلاف بين أهل العلم، هل يكفرون أو لا يكفرون؟ والصحيح: أنهم لا يكفرون لقول عليٍّ -رضي الله تعالى عنه-: **"هم من الكفر فرُّوا"**، إلا أن الخوارج في الأزمنة الأخيرة الذين يُنكرون السُّنة، ولا يؤمنون بها، ويقعون في الشرك وينفون صفات الله ﷻ، فهم كفروا بمذهبٍ غير مذهب الخوارج، نسأل الله العافية والسلامة.

## • المتن •

قال بعد ذلك: **وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق.**

## • الشرح •

وبنو المصطلق هم قوم أصحاب حارث بن ضرار الخُزاعي، وذلك ما رواه ابن جرير من حديث عيسى بن نزار عن أبيه عن الحارث: «**أن النبي ﷺ أرسل الحارث ليجمع صدقات قومه فأرسل لهم بعد ذلك الوليد بن عُقبة، فلما أتاهم خاف ورجع فلما رجع قال له: منعوا الزكاة فهمَّ النبي ﷺ بقتالهم واستباحة دمائهم، وأموالهم**»[1]؛ لأنهم فقط منعوا الزكاة، ولم ينفعْهم قول لا إله إلا الله.

إذًا لا إله إلا الله لا تعصم ولا تنفع، إلا من حقق شروطها وأركانها، وهذا الحديث وإن كان في إسناده ضعف فإن معناه صحيح، أي: إذا امتنعت طائفة من المسلمين عن أداء الزكاة أو عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة، وامتنعت عن الالتزام بها، فإنها تُقاتل ردةً وكفرًا بالله ﷻ ويُستباح بذلك دمها ومالها؛ لأنها نقضت الشهادة بهذا الامتناع وعدم الانقياد.

---

(١) المسند (١٧٩٩١).

## • المتن •

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **الفصل الخامس عشر الفرق بين الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه والاستغاثة بغيره.**

**ولهم شبهة أخرى، وهو ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى.**

## • الشرح •

ثم محمد ﷺ فيقول: أنا لها أنا لها، وقصة إبراهيم لما عرض له جبريل، هل لك من حاجة؟ هذه شُبهٌ أخرى كأنه رجع إلى موضعٍ سابق، وهي مسألة جواز الاستغاثة بالصالحين والأولياء، احتجُّوا أنه يجوز الاستغاثة بالصالحين والأولياء ودعائهم وسؤالهم بأن الناس يوم القيامة يستغيثون بموسى، وعيسى، ويستغيثون بمحمدٍ ﷺ وهذه الحُجة حجة جاهل، لا يعرف حقيقة ما يستدل به، وما يُنزَّل عليه الدليل.

فإن هذا الاستدلال حُجة عليه لا له، وذلك أن الذين استغاثوا بالأنبياء في عرصات القيامة استغاثتهم جائزة ولا شيء فيها، ولا تدخل في حيز الشرك والكفر بالله ﷻ؛ لأن الأنبياء أحياءٌ بأجسادهم، وإنما سُئلوا واستغيثوا بشيءٍ يقدرون عليه، وإنما تكون الاستغاثة شِركًا، ويكون المستغيث مشركًا بالله ﷻ خارجًا من دائرة الإسلام، إذا استغاث بميتٍ أو بغائبٍ في شيءٍ لا يقدر عليه إلا الله ﷻ.

أما إذا استغاث بمخلوق كأن يكون غريقًا، ويستغيث بمن يراه أن يُنقذه نقول: هذا لا بأس به، أما إذا استغاث بميت أو غائب، أو غير حاضر وقال: أستغيث بفلان، وهو لا يسمعه ولا يحضره فإن هذه الاستغاثة الشركية، كمن يستغيث بالأموات ويدعوهم ويطلبهم من دون الله ﷻ فهذا هو الشرك الأكبر.

أما الاستغاثة بالأنبياء في عرصات القيامة فليس هذا منه في شيء، فإن الناس عندما يفزعون في عرصات القيامة يأتون محمدًا ﷺ ويقولون: يا رسول الله ألا تشفع لنا؟ فيشفع لهم، وهنا هم سألوا حيًّا، حاضرًا، قادرًا، ومع ذلك ليس هذا من الشرك الذي يُخرج من دائرة الإسلام بل هو استغاثة جائزة.

كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ﴾[القصص: ١٥]، في قصة موسى عندما تصارع الإسرائيلي مع القبطي، استغاث الإسرائيلي بموسى عليه السلام، وهذا جائزٌ باتفاق أهل العلم.

فالاستغاثة الشركية التي يكون المستغيث بها مشركًا كافرًا بالله ﷻ:

**أولًا**: أن يكون المستغاث به ميِّتًا غير حيٍّ، فإن كان ميِّتًا فالاستغاثة به شرك أكبر مخرج من دائرة الإسلام.

**الأمر الثاني**: أن يكون المستغاث به ليس مقدورًا للمخلوق وإنما من خصائص الخالق ﷻ، فإذا استغاث بمخلوق في ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ كان المستغيث كافرًا بالله ﷻ، أما إذا استغاث بمخلوقٍ فيما يقدر عليه وكان المستغاث به حيًّا حاضرًا قادرًا، فهذا لا شيء فيه، ولا بأس به.

وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام، وهذه القصة **أولا نقول**: أنها قصةٌ غير صحيحة عن النبي ﷺ، وإنما جاءت من مراسيل سليمان بن المعتمر التيمي، وجاء أيضًا من مراسيل مقاتل وغيرهم، أن إبراهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق، وأُلقي في النار، عَرَض له جبريل في السماء فقال: يا إبراهيم ألك إليَّ حاجة؟ قال: أما لك فلا، وأما إلى الله فبلى، فهذا ليس فيه ما يدعيه القبوريون والمشركون من جواز الاستغاثة بغير الله ﷻ.

فجبريل عليه السلام ذو قوةٍ ومتين، وهو ذو عزٍّ وذو شدةٍ، وهو حيٌّ حاضرٌ، ويقدر على أن يُنقذ إبراهيم من النار، بل يقدر أن يأخذ الأرض كلها بيده بأمر الله ﷻ ويُخرج إبراهيم من النار كلها.

فإبراهيم لكمال توحيده ولكمال تحقيق التوحيد لم يسأل إلا الله، وهذا مصداق حديث النبي ﷺ **«إذا سألت فاسأل الله ﷻ»**[1]، فهذا هو الكمال وهذا هو الأفضل، فإبراهيم عندما قال له جبريل: ألك إليَّ حاجة؟ كان عرضه عرضًا جائزًا؛ لأن جبريل حيٌّ، وهو حاضر، وهو قادر، وليست هذه كمن يدعو الأولياء والصالحين الأموات، ويستغيث بهم، ويطلبهم ويرجوهم، فيُنزِّل هذا مثل هذا، هذا شركٌ أكبر، مخرجٌ من دائرة الإسلام، وهذا جائز.

فالذي يستغيث بعبد القادر الجيلاني، أو البدوي، ويسألهم من دون الله ﷻ نقول: أنت مشرك شركًا أكبر وخارج من دائرة الإسلام، أما الذي يستغيث بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ فيما يقدر عليه، وليس من خصائص الله، فنقول: هذا جائز، قال أيضًا: فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى كما ذكرنا.

---

(١) سنن الترمذي (٢٥١٦).

## • المتن •

قال بعد ذلك: **الفصل السادس عشر وجوب تطبيق التوحيد بالقلب واللسان والجوارح إلا لعذر شرعي.**

**ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى، بمسألة عظيمة مهمةٍ تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام.**

## • الشرح •

وهذه المسألة أن التوحيد لا ينفع صاحبه، والنطق بالشهادتين لا تنفع صاحبها إلا إذا حققها بقلبه ولسانه وأفعاله، فإن الإيمان متعلقٌ بالقلب، ومتعلقٌ باللسان، ومتعلقٌ بالجوارح، ولا يصحُّ إيمان العبد حتى يتحقق الإيمان في هذه الأركان الثلاثة، وأن يكون بقلبه ولسانه وجوارحه، كذلك التوحيد، يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فأما معرفة التوحيد بالقلب ومخالفته بالقول واللسان فهذا لا ينفع صاحبه مع القدرة على العمل، وإذا عمل بجوارحه وقال بلسانه ناطقًا بالتوحيد وقلبه مكذبًا بالتوحيد فأيضًا لا ينفعه ذلك، والناس في هذا المقام على أربعة أقسام:

**القسم الأول**: من حقَّق التوحيد بقلبه، وحقَّق التوحيد بلسانه، فعرف التوحيد وعمل به، ودعا إليه وقال به، فهذا خير الناس.

**القسم الثاني**: من لم يعرف التوحيد بقلبه، ولم يعمل به بجوارحه، ولا بلسانه، فهذا كافرٌ وهو شر الناس.

**القسم الثالث**: من عرف التوحيد بقلبه ولكنه لم يعمل به، لا بلسانه ولا بجوارحه، فهذا كافرٌ ولا يدخل في الإسلام، ويكون كافرًا.

**القسم الرابع**: من عرف التوحيد بلسانه وبجوارحه، ولكن قلبه مخالفًا له فهذا أيضًا كافرٌ بالله ﷻ.

وختم المسألة رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بمسألةٍ عظيمة، وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، إذا تأملتها في الناس ترى من يعرف الحق، ويترك العمل به خوف نقصه.

قال هنا: وأن كثيرًا من الناس يترك العمل بالحق، ويترك القول به، خشية أن ينقص جاهه، أو تنقص منزلته، أو لأجل مال من أمور الدنيا، أو لأجل مطمعٍ من مطامع الدنيا، فتراه يقع في الكفر لأجل شهوةٍ يريدها، أو يترك التوحيد لأجل مالٍ يطمع فيه كما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: **«فتنٌ كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل»**[1]، فالذي يقع في الكفر والشرك لأجل أطماع الدنيا لا يُعذر عند الله ﷻ وقصد المُؤَلِّف هذه المقولة؛ لأن كثيرًا من عُبَّاد القبور ومن سدنة القبور كانوا يدعون الناس إلى الشرك لأجل مطامع الدنيا، ولأجل أن تبقى رئاستهم، ولأجل أن تبقى حظوظهم، فكانوا يأمرون الناس بالشرك؛ لأن الناس يُعظمونهم بهذا الكُفر، فلا يُعذرون بهذا، وإنما يُعذر من أُكره على الكُفر، لا يُعذر في مقام الكفر والشرك، إلا المُكره.

وشروط الإكراه:

➢ أن يكون المكره قادرًا على إمضاء ما أكره به.

➢ **والشرط الثاني**: أن يكون المكره غير قادر على دفع المكره، وأن يكون المُكره غير قادر على أن يدفع ما أُكره به.

➢ **والشرط الثالث**: أن يكون الإكراه في القول والعمل لا في القلب، فلابد لمن فعل الكُفر مكرهًا أن يكون قلبه مطمئنًا.

➢ و**الشرط الرابع**: أن يكون المُكره غير قادر على تحمل هذا الإكراه، كأن تذهب نفسه أو يُقتل، أو يذهب ماله وولده، فعندئذٍ يجوز أن يقول الكفر وأن يفعل الكفر، إلا من أكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان، أما أن يفعل الكفر وقلبه مطمئنٌ به، فهذا كافر، والناس في مقام الإكراه أربعة أقسامٍ أيضًا:

⇦ **القسم الأول**: من يصبر على قتل نفسه وذهابها ولا يقول الكفر ولا يفعله، وهذا أكمل الناس وأفضلهم.

---

(١) الترمذي (٢١٩٧).

⇦ **القسم الثاني**: من يُكره على الكفر بقوله أو بفعله، ولا يستطيع دفعه، فهذا ممن خُفف عنه ويجوز له ذلك.

⇦ **القسم الثالث**: من يُكره على الكفر، فيفعله ويقوله مع اطمئنان قلبه بالكُفر فهذا يكفر؛ لأن قلبه اطمئن بالكفر.

⇦ **القسم الرابع**: من لا يُكره على الكُفر ولكنه خوِّف، ففعل الكفر؛ لأجل طمعٍ من مطامع الدنيا، فإنه يكفر بالله ﷻ؛ لأن إكراهه غير إكراه ملجئًا، وليس إكراهه بصحيح.

إذًا لا يُعذر في هذا المقام إلا المُكره، في مقام الكُفر والشِرك، أو المخطئ الذي قال بلسانه قولًا لا يقصده كمن أراد أن يثني على الله فسبه، فهذا الخطأ يُغفر.

أما الذي يفعل ذلك لأجل طمعٍ دنيوي، أو لأجل رئاسةٍ فإنه يُكفَّر ولا يُعذر عند الله ﷻ، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفًا، أو مدراة، أو مشحَّة بوطنه، أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأعراض، إلا المكرَه كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[النحل: ١٠٦]، فهذا الذي ينجو عند الله ﷻ.

وفي خاتمة هذا الكتاب نسأل الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يجعله شفيعًا لنا يوم نلقاه، وأن يجعل الملائكة تشهد لنا عند ربنا سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، والله أعلم وأحكم، وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد.